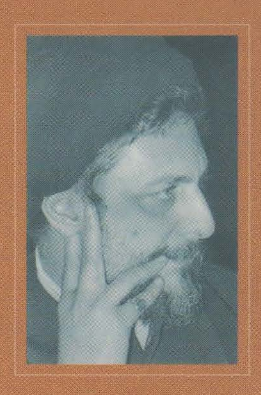


# ندوة

# المشروع الوطني والنهوض المقاوم عند الإمام موسى الصدر


جورج خضر
عمر مسقاوي
جورج مسوح
محمد علي مهتدي
مصطفى الحاج علي
عبد الحليم فضل الله





دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

# ندوة

# المشروع الوطني والنهوض المقاوم عند الإمام موسى الصدر






اسم الكتاب: ندوة المشروع الوطني والنهوض المقاوم
عند الإمام موسى الصدر

المشاركون: مصطفى الحاج علي - جورج خضر
عمر مسقاوي - جورج مسوح
عبد الحليم فضل الله - محمد علي مهتدي

الناشر: دارالمعارف الحكمية

تصميم الغلاف: Idea Creation

إخراج الكتاب: Fadel Graphic

عدد الصفحات: ٩٦

القياس: ١٤.٥ X ٢١.٥

تاريخ الطبع: آب ٢٠٠٧

# المشروع الوطني والنهوض المقاوم
# عند الامام موسى الصدر

مصطفى الحاج علي — جورج خضر
عمر مسقاوي — جورج مسوح
عبد الحليم فضل الله — محمد علي مهتدي

الطبعة الأولى

[١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م]



دار المعـارف الحكميـة

Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي

Email: almaaref@shurouk.org     تلفـاكس: ٠١-٥٤٤٦٢٢

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

## الفهرس

# كلمة الافتتاح

## الشيخ شفيق جرادي*

الحمد لله.....

أيها السيدات والسادة.. إننا إذ نرحّب بكم في ندوة «الأسس الفكرية للحضارة الدينية والنهوض الإسلامي في فكر الإمام موسى الصدر»

تبقى القامة الفارهة التي أعلنت افتداء الوطن ووحدة بنيه بالصدر رمزاً للبنان الأمل..

ويبقى القلب النابض بالرحمة والحكمة والاقتدار مستودع أسرار استجابة نداء الأنبياء، كل الأنبياء المكتملين بنبيّ الرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله...

القلب الذي فاض رسالة قيام لا تهدأ، وثبات جنان لا ينهزم، ولسان حق وذكر ينشر الودّ والسلام بين الناس على قاعدتي القسط والعدل، رجاء الأمل ومجابهة الألم والحرمان والطغيان...

وتبقى التماعة الحب في عيني الإمام المغيب، تقيم في الضمير

* مدير معهد المعارف الحكمية.

والوجدان حضوراً يتعالى على كل غياب...

حتى لكأن الحب فيهما، كما الرحمة في القلب، هما وجه محمد والمسيح.

وأفرد هنا كلمة «وجه» دون أن «أثنيها» انسجاماً مع رؤية الإمام الصدر في أن حقيقة وجه النبوة واحدة، وإن تعددت الوجوه، لأن الحق الإلهي واحد وإن جعل الله لكل أمةٍ شرعةً ومنهاجاً...

واليوم، في لقائنا هذا الذي يأتي في سياق التصدي لأمانة فهم الإمام الصدر ابتغاء معايشته في قضاياه الكبرى، قضايا الإيمان والعقيدة والحضارة والإنسان، نحن نلتقي مع كل الذين سبقونا في هذه المهمة وشرَّعوا الأبواب لنسائم فكره ولطائف روح قيمه، وإيمانه ونور إضاءاته في بناء المجتمع والوطن...

نأتيه من منهجه الذي دعا إليه، والذي فرَّق فيه بين صنوف آليات الاشتغال الكلامي والفقهي والفلسفي والعقيدي واللغوي وغير ذلك، لقراءة الدين وتأسيس العلوم الإسلامية، وبين التوحيد بما هو روح القرآن وروح مقاصده الكبرى البانية لحضارة التوحيد وثقافة الوحدة..

والتوحيد كما الوحدة هنا، ليسا مجرد اصطلاحين يوظفان لمجرد توليد الدلالات والمفاهيم،.. بقدر ما هما روح إيمان وحياة عمل صالح، كما جاء في الكتاب العزيز من قوله سبحانه

وتعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] .

وهل الإيمان إلا التوحيد والرحمة والحبّ الذي ينفخ في جسد كل عمل صالح وقول صالح، توحيد الحياة الطيبة التي تقع بيد الجزاء الإلهي لتتجاوز كل حدود الأفعال والكلمات والمواقف والنظم والعلوم، وليبني عرش التوحيد وهيكل أنوار الوحدة..

نأتيه من هذا الواقع المشرذم الذي غيَّبت فيه أيدي الدسائس والوصاية والعدوان قيم المواطنة والعيش المشترك والحرية والاستقلال العزيز الكريم، كما غيبت من قبل عقل الطوائف فألهبت الواقع اللبناني بحروب أهلية عاتية، وغيّبت جسداً عظيماً اعتصم ليعصم الوطن وإنسانه، وكشف عن صدره لرصاص العدوان ليجلبب المدن والقرى والدساكر بجلباب الأمان، وارتحل في غياهب المجهول ليشق نور الخلاص وسط عتمة التخلّف والتمزق والوهن، والتي لفّت كل أبناء هذا الوطن...

نأتيه لندرسه ونتدارس مع قيمه ما يفي بقيم النهوض الحضاري وأسس التألق الإسلامي، ونحن نعي أن مشروع الإمام الصدر هو منعطف في التحول في المشروع النهضوي الإسلامي المعاصر، والذي تتكامل فيه الحياة والفكر والتأمل والعمل...

---

[1] سورة النحل، الآية ٩٧.

# مجالات وآفاق المشروع الإصلاحي

# للإمام موسى الصدر

## الإصلاح الاجتماعي نموذجاً

أ. مصطفى الحاج علي*

## أولا: الإصلاح في أبعاده المتنوعة: مدخل نظري عام

تتفتح النزعة الإصلاحية للإمام الصدر على مجالات أربعة رئيسية متداخلة، يغذي كل منها الآخر، ويتفاعل معه على نحو جدلي عميق، وإن كان اثنان منها يشكلان البناء التحتي في عملية التفاعل والتأثر المتبادل هذه، أما هذه المجالات فيمكن إيجازها وفق التالي:

### أولاً: المجال الإسلامي الواسع: هنا الانشغال الصدري يأخذ ثلاثة أبعاد محورية:

أ- المحور الاجتماعي، لأن المجتمع الإسلامي أصل لا يمكن تجاوزه، وحقيقة موضوعية لا يمكن إنكار دورها في التاريخ الثقافي والحضاري للإسلام، وبالتالي، لا يمكن تجاوزها إذا ما أردنا، إعادة إنتاج الحضور الإسلامي الفاعل في التاريخ مجدداً.

ب- محور الإنسان لكونه أصلاً، بل ومفتاح كل الأصول، وهو الأصل المادي حتى لحقيقة أصل المجتمع. وإذا كان - كما

* باحث في الفكر الفلسفي والإسلامي.

سنرى لاحقاً، وبحسب أقوال الإمام الصدر نفسه - انسحاب المجتمع الإسلامي أو سحبه من التاريخ أدّى إلى التخلّف والتقهقر، وأدّى أيضاً إلى تراجع الفرد الإسلامي وانزوائه وتقوقعه على نفسه، فإن الجفاف الذي ضرب المحتوى الإسلامي الداخلي للفرد، ساهم بدوره في تجفيف المستوى الروحي للمجتمع بكل أبعاده الفكرية والقيمية والإيمانية، ما سهم بدوره في تراخي مفاصل هذا المجتمع، وفي تفكك روابطه، وانحدار مستوى مضمونه العلائقي إلى ما دون المطلوب لإنتاج الحيوية الاجتماعية المطلوبة.

من هنا، كان المطلوب، إيلاء الفرد الانشغال البنّاء لإعادة بناء تصوراته ومفاهيمه عن نفسه، وعن الآخرين، وعن العالم، ليس من منطلق نظري فحسب، وإنما في سياق الاهتمام العلمي، والانخراط الكفاحي في مواجهة التحديات على أنواعها، وما أكثرها.

كما سيتبين لاحقاً، كيف يقيم الإمام الصدر جدلية عميقة، وتلازماً حديدياً، بين إعادة بناء المجتمع الإسلامي، وإعادة بناء الفرد الإسلامي من جهة، وبين بقاء الطاقة الإسلامية في الفرد والمجتمع وبقاء المجتمع نفسه من جهة أخرى.

ج- المحور الاجتهادي، هنا يصبح الهمّ إصلاح العلاقة مع النص، انطلاقاً من نظرة حركية لهذاالنص، تملك القدرة على إجراء مواءمة بينه وبين حركة الواقع الاجتماعي بكل أبعاده، وتمكّن أيضاً من كسر القوالب الحديدية المضروبة حول الكثير من الإجراءات المفهومية - الحركية، أو قل المفاهيم ذات الاستهداف الإجرائي التنظيمي لأحوال المجتمع، والتي تشكّل لبنات روابطه

وعلائقه البينية، والتي من شأنها إنعاش الطاقة والفاعلية الإنتاجية الإنسانية والاجتماعية للقدرة «التبادلية» الخاصة بها.

## ثانياً: الدائرة الدينية العامة:

شرش هذا الهمّ هو المعطى اللبناني نفسه بتلافيفه الطائفية والمذهبية.

السؤال الإصلاحي، هنا يتجاوز ما هو خاصّ إلى ما هو عامّ، كيف يمكن بناء علاقة سوية بين مكوّنات دينية مختلفة من جهة، ومكونات طائفية من جهة أخرى؟ الجواب يكمن في التزام إجراءين أساسيين:

الأول، الخروج من قوقعات الطوائف إلى رحاب الدين، أي العمل على تنظيم المختلف، وتأسيس العلاقة في ما بين مكوّناته، بالرجوع إلى جوهر الدين الذي هو واحد في كل الأديان، ما يجعل الطوائف والأديان المختلفة أشبه بمصاديق متنوعة لمفهوم واحد، أو تجليات مختلفة لروح أو جوهر واحد.

والثاني، الاستعانة بالعدة الصوفية والقيمية في الأديان؛ باعتبارها تعكس ما هو روحي وجوهري وأصيل، وثابت مشترك في العموم بين كل الأديان.

## ثالثاً، الدائرة الوطنية:

ما تقدّم يشكّل محاولة لتطبيق جدلية الكثرة والوحدة، لكن الهمّ ليس نظرياً، بقدر ما هو عملي، يتطلبه الواقع اللبناني، لا لكون تركيبته الاجتماعية المتنوعة تطرح مشكلة صعبة

بحد ذاتها (فالإمام الصدر لم ير يوماً في التنوع إلا نعمة ومصدر غنى)، وإنما لكون هذه التركيبة أخذت طريقها إلى النظام السياسي اللبناني على نحو أفسده، ليفسد هو بدوره الواقع الاجتماعي نفسه، وليفسد العلاقة بين المجتمع والسلطة.

من هنا، ثمة ضرورة ما بعدها ضرورة، لإصلاح النظام السياسي في لبنان، ومفتاح الإصلاح التزام العدالة، والمساواة، ومبدأ الكفاية، وتحمّل المسؤولية العامة.

هذا الإصلاح يشكل بدوره شرطاً لاستقامة العلاقة ليس بين السلطة والمجتمع فقط، وإنما لاستقامة العلاقة بين المكوّنات المتنوعة للمجتمع اللبناني.

إن إصلاح العلاقة بين الإنسان والدين، يشكّل ممراً إجبارياً، لإصلاح العلاقة بين الأديان والطوائف، من خلال العودة إلى العدة السابقة، ما يسهم في توفير الأساس الاجتماعي لنظام سياسي أكثر استقامة وتماسكاً والعكس صحيح أيضاً. ذلك أن بقاء النظام الطائفي مرهون ببقاء العلاقات غير سوية بين الطوائف، بل إن مهمة هذا النظام ومصالحه تكمن في حراسة الاختلاف وضمان بقائه، لا في تعميق المشترك، وتنظيم التنوع، ووضع الأطر العادلة للتفاعل بين عناصره.

### رابعاً: المجال المقاومتي:

هنا، أيضاً، ترتكز المهمة الإصلاحية على المعطى الجيو - سياسي للبنان، وعلى المعطى الجيو - طائفي أيضاً. وهي تأخذ من مقتضيات التحديث الفعلي قاعدة للمعالجات النظرية

والعملية معاً، وهذه بدورها تتوخى هدفين:

الأول: إصلاح علاقة لبنان بمحيطه من خلال إخراجه من حالة التردد والميوعة في مواقفه القومية سيما في مسألة الصراع العربي - الإسرائيلي، بمكونه الأساسي والاستراتيجي أي الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي.

والثاني: إصلاح علاقة السلطة بمكوناتها الاجتماعية المهمَّشة والمهملة والمنبوذة.

الهدف الأول، يستبطن في داخله إعادة تأسيس الهوية اللبنانية في المعطى العربي. وليس من شيء أدعى إلى تأكيد المعنى العربي للهوية اللبنانية من الانخراط في معمعة الصراع العربي - الإسرائيلي عموماً، والصراع الفلسطيني - الإسرائيلي تحديداً.

فدعوة الإمام الصدر للانخراط في المقاومة، وقبلها دعوته الدؤوبة والصابرة والملحة للدولة اللبنانية لتأخذ على عاتقها مهمة الدفاع عن لبنان، ليست في أحد أبعادها، إلا سعياً لتأكيد المعنى العربي للهوية اللبنانية في معترك الفعل الدفاعي أو المقاوم.

ذلك، أن الحياد أو الوقوف موقف المتفرّج، ليسا موقفين عمليين، ويتناقضان مع الواقع الجيو- سياسي للبنان، وإنما هما أيضاً دعوة ضمنية لالتزام هوية مائعة وصولية، قابلة للتلوّن بحسب الظروف، بدلاً من أن تكون هوية صلبة عصية على الكسر.

أما الهدف الثاني، فيستبطن في داخله مسعى مركباً لإنتاج الهوية الوطنية من مدخلها الاجتماعي؛ أي من مدخل تصويب

السلطة علاقتها بمكوناتها المهمّشة، عبر إجراءات متكاملة، أهمها: أن تشعر السلطة وهذه المكوّنات بأنها مسؤولة عنهم، وعن حياتهم، وبالتالي فهي تلتزم مهمة السهر على أمنهم، والدفاع عنهم (الشيعة في الجنوب)، وأن تشعر هؤلاء أيضاً بأنها مسؤولة عن تطورهم الاجتماعي والاقتصادي والعمراني والتربوي... إلخ (معالجة الحرمان بكل أنواعه وفي كل المناطق).

بكلمة واحدة، الهمّ الإصلاحي للإمام الصدر يبحث عن إعادة بناء مكوّنات الانتماء خارج أطره الأولية المفتتة بحكم طبيعتها المتنافرة والمتصارعة، فالمشترك الديني يؤسّس المدى الروحي والقيمي للهوية اللبنانية، وإصلاح النظام السياسي الطائفي، ومن ثم إصلاح علاقة السلطة بمكوناتها، يؤسس للمدى الوطني للهوية اللبنانية، في حين أن التزام قضايا المنطقة يؤسس للمدى القومي لهذه الهوية.

الهمّ الإصلاحي الصدري هنا، يحفر عميقاً في الموحِّد، والجامع، والشمّال، إسهاماً منه في تعطيل وكبح جماح المتنافر، والمتنابذ، والمتصارع. إنها التوحيدية الإسلامية في تطبيقاتها الواقعية، وفي تطبيقها اللبناني*.

ما تقدم شكّل إطاراً نظرياً لمدى المشروع الإصلاحي للإمام

* للتوسع في هذا المقام، يمكن الرجوع إلى المصادر التالية:

- مسيرة الإمام موسى الصدر، يوميات ووثائق ١٩٦٠ – ١٩٦٨، إعداد وتوثيق يعقوب ضاهر، مجلد ١، ط١، ٢٠٠٠، مطبعة دار بلال – بيروت.

- محاضرة بعنوان: الإسلام الأصالة الروحية شؤون المجتمع المتطور، ص ٢٠٩.

- م.ن. محاضرة بعنوان: الطائفة الإسلامية الشيعية في لبنان، آلامها وآمالها، ص ٢٢٤.=

الصدر، وهذا المدى كبير وشامل ومتنوع، لكن سنكتفي في هذه العجالة، بمقاربة تفصيلية لجانب أساسي وحيد منه، هو المدى الاجتماعي - الإنساني من هذا المشروع.

---

- م. ن. مج ٣، بحث بعنوان: روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع في العالم الإسلامي، ص ٢٦٩.

- م.ن. مج ٣، محاضرة بعنوان: المجتمع الأفضل، ص ١٣٦.

- م.ن. مج٣، مقابلة صحافية تحت عنوان: وجود الطوائف في لبنان خير مطلق، أما النظام الطائفي فشر مطلق.

- م.ن. مج٢، محاضرة بعنوان: أسباب تأخر المسلمين وكيفية معالجتها، ص ٤٨١- ٥١٧.

- م .ن. مج ٤، محاضرة للأب يواكيم مبارك، بعنوان: حركة الإمام الصدر بين الشيعة البنائية اللبنانية، ص ٣٧٨.

- م.ن. مج٤، محاضرة بعنوان: لنجعل لبنان مستقلاً سياسياً واقتصادياً وفكرياً في كل مناطقه، ص ٣٦٥.

- م.ن. مج ٥، محاضرة بعنوان: حركة المحرومين وأبعادها، ص ١٣٤.

- د. حسين رحال، ملامح التجديد عند الإمام موسى الصدر: إمام التواصل، ص ٢٠٧ – ٢٢٢، المؤتمر السنوي التاسع لكلمة سواء في ٢ و ٢٠٠٤/١٢/٣، قصر الأونيسكو بيروت، لبنان.

- الأستاذ النائب محمد فنيش، الإمام الصدر وتأسيس المقاومة، ص ٨٣، كلمة سواء: المؤتمر السنوي الخامس من ٢٣ إلى ٢٠٠٠/١١/٢٥، بيروت- لبنان.

- م.ن. د. ساسين عساف، الوحدة الوطنية، الانتماء والمواطنة، المثلث الأفهومي في رؤية الإمام موسى الصدر السياسية، ص ٢٤٣.

- أحاديث السحر، الإمام موسى الصدر، تحقيق حسين شرف الدين، ص ٣٢- ص ١٠٤.

## ثانيا، الإصلاح الاجتماعي، نموذج تطبيقي

في معرض تساؤله عن ماهية المجتمع، وعن كيفية تكونه، يجيب السيد الصدر قائلاً: «لا شك أن المجتمع يتكوّن من الأفراد، ولكن هل يكفي وجود الأفراد لتكوين المجتمعات؟ كلا، فإذا افترضنا ألف فرد من البشر دون أن يكون بينهم تبادل وتفاعل، أخذ وعطاء، بيع وشراء، إذا لم يكن بين الأفراد تبادل فلا يكون هنا مجتمع، فتكوين المجتمع على أساس وجود الأفراد المتبادل، عملهم وكفاءاتهم بعضهم مع بعض، فحينما يعطي أحدهم ويأخذ، والآخر، والثالث، وهكذا يتكون المجتمع وإلا فلا»[1].

بهذا المعنى لا يغدو المجتمع معطى كمياً، تتوقف قوته على عدد أفراده، ويتوقف نوع ودرجة موقعه ودوره على حجمه، وإنما تتوقف قوته وطراز وجوده على نوع الروابط التي تشد عناصره، وعلى مدى الدينامية التي تحكم تفاعل العلاقة بين أفراده. فالذي ينقل الجماعة البشرية من مفهوم التجمع إلى مفهوم المجتمع هو مفهوم التبادلية والتفاعل بين عناصر هذا التجمع، ما يعني في المقابل، أن حياة المجتمع تتوقف على استمرار هذه التبادلية، وعلى استمرار هذا التفاعل. بكلمة أخرى، ما دامت هذه التبادلية تحدث بين البشر، فثمة جدلية واضحة تحكم مستويات تطورها بمستوى تطور البشر أنفسهم، والعكس صحيح أيضاً، أي أن فاعلية التبادل والتفاعل بين البشر تؤثر بدورها على حركة تطور المجتمع نفسه.

في هذا السياق، لا يعود «في العالم شعب صغير وشعب كبير،

---

(1) – مسيرة الإمام الصدر، يوميات ووثائق، ١٩٦٠– ١٩٦٨، إعداد يعقوب ضاهر، ج١، محاضرة: الجانب الاجتماعي في الإسلام، ص ٣٠٥.

بل في العالم يشعب يريد الحياة وشعب لا يريدها. والذي يجب أن نفكِّر فيه هو كيف نصنع المجتمع البطل؟. فقد مضى زمن الرجل البطل، فلنتحول من الأبطال الأفراد إلى البطل المجتمع... فنلفكر وندرس ونتأمّل»[٢].

هنا، إرادة الحياة لا تصبح إرادة مجرّدة، أو متذرِّرة، بمعنى أنها إرادة أفراد، وإنما إرادة تواصلية، وإرادة لاحمة، لأن من شأن هكذا نوع من الإرادة أن يحيل الحقيقة الفردية إلى حقيقة بعضية، أي بدلاً من أن ينظر الفرد إلى نفسه بوصفه جوهراً مستقلاً، قائماً بذاته، منغلقاً على نفسه، ينظر إلى نفسه بوصفه وجوداً مرتبطاً أو متعلقاً. وهذا التعلق أو الارتباط ليس ظرفياً أو عرضياً وإنما هو قائم في صميم كينونته، «فالإنسان يتكوّن من الغير، وهو منذ البداية بحاجة للآخرين، لبني نوعه، وثقافته ارتباطاً كلياً بوجود الغير.. فالإنسان رغم حريته في التصرف فهو ذو بعد آخر ألا وهو المجتمع»[٣].

بكلمة أخرى، «إن الأصل هو الإنسان ببعديه إذاً لكي نبني المجتمع، فإننا بحاجة إلى الإنسان زائد العمل المتبادل. فالركن الأساسي للمجتمع هو العمل» [٤].

لكن أي نوع من العمل هو المطلوب؟ هل العمل الصادر لقاء أجر، أم العمل الصادر عن الدافع؟

---

(٢) – م.ن. ج٣، ص ٢٣٤.

(٣) – م.ن، ج٣، ص ١٣٧– ١٣٨.

(٤) – م.ن. ج٣، ص ١٣٧– ١٣٨.

إنه العمل الصادر عن الدافع، لأن «العمل جزء من الإنسان....، والإنسان يكتمل بالعمل، لأنه ينمّي فيه النزعة والشعور والصفة. ذلك عندما يصبح العمل عبادة الإنسان - خليفة الله على الأرض - أي إنه يكمِّل الخلق، الروابط التي هي الأعمال المتبادلة بين الأفراد كمال الإنسان، بينما العمل المأجور ينمي الاعتماد على الأجر، فيتحول الإنسان إطاراً مطلقاً للمصلحة المادية التي تتحكم اليوم بالعالم، ويصبح الإنسان غريباً وحيداً لا يشاركه أحد. وبذا يتحول المجتمع إلى شركة مساهمة تتجسد فيها الخلافات على كافة المستويات» [5].

ولـ «أن العمل في المفهوم الديني رسالة ووظيفة، لذلك فهو حي مطلق يربط أعضاء المجتمع بعضها ببعض ويربط الأجيال المتلاحقة ربطاً عضوياً. إن العمل ليس بضاعة تباع وتشترى كالأمتعة والأشياء الخارجية، بل هو واجب. يقدِّم المجتمع الإسلامي لعامله الواجب لحفظه وحفظ عائلته وشؤونه حسب ظروف المجتمع والمرحلة الاقتصادية التي يمر فيها ...» [6].

وحتى لا يفهم من هذا الكلام، أن الإمام الصدر «يتّجه إلى عدم تطلع العامل إلى الأجر المادي»، يؤكد على أن ما ذهب إليه «لا يتنافى مع تطلع العامل إلى الأجر، ومع موقف السلطة في حماية العامل، وإعطائه أجره في الكامل» [7].

إن العمل بوصفة وظيفة ورسالة يملك فعلية البقاء والاستمرار

[5] - م.ن. ج٣، ص ١٣٧- ١٣٨.

[6] - م.ن. ج٣، ص ٢٧٩.

[7] - م.ن. ج٣، ص ٢٧٩.

«يبقى بصورته الأصلية، أو المتطورة. وينعكس على الإنسان، لأنه صادر عنه، وأنه عاش العمل من خلال نيته، ومن خلال سعيه»[8].

إن هذه المساعي، و«الأعمال الصادرة عن الإنسان، هي بمنزلة ترسيم تدريجي للوحة، هي لوحة وجود الإنسان وحياته، فكل موقف منه، هو بمنزلة ريشة تتحرك لترسم صورة. واللوحة في الحقيقة، هي مجموعة الريشات المستعملة. أو قل: إن الذات الإنسانية، عدّاد يعدُّ الحركات، ويحفظها، ويجسّدها ويصونها خلال الزمن»[9].

أما محور كل ما تقدم فهو بلوغ الإنسان كماله الممكن، هذا الكمال لا يمكن بلوغه «إلا إذا تنازل أو أعطى بعض ما يحب». أما إذا أراد أن يتمسّك بكل ما يحب، فيحتفظ براحته، وبماله، وبجاهه، وبمكانه، فلا يمكن أن يبلغ البر نهائياً، ولا يمكن أن يخطو خطوة نحو الكمال إطلاقاً» [10].

بكلمة أخرى، «فالإنسان عندما يريد أن يكتمل وأن يقترب إلى الله سبحانه وتعالى، لا بدّ من أن يتنازل عن أنانيته، وأن يحطِّم قيوده الخاصة، وأن يجمد أصنامه. أي أن الإنسان يرتبط في حياته العادية بأشياء ما يحب. فإذا يريد أن يكتمل فلا بدّ أن يقطع صلته بهذه الأمور واحداً تلو الآخر حتى يتسع ويكتمل ويبلغ الكمال، أي القرب من الله سبحانه وتعالى.

[8] – الإمام الصدر، أحاديث السحر، تحقيق حسين شرف الدين، مركز الإمام الصدر للدراسات والأبحاث، ص ٧٨.

[9] – م.ن، ص ٧٩.

[10] – م.ن. ص ٧٤.

وهذا أساس ديني ثابت»[11].

إذاً، نحن أمام نسق متكامل، أما ترسيمه متكاملة أيضاً: لا مجتمع بدون تبادل، ولا تبادل بدون عمل، ولا عمل يحفظ المجتمع، ويبقيه حياً ومتطوراً، إن لم يكن عملاً هادفاً إلى الكمال، سواء الكمال الفردي. أم الكمال النوعي للمجتمع.

إن منح النية موقعاً مركزياً في العمل لا يفتح العمل على معنى العبادة فحسب، وإنما على فضاء القيمة. لذا، لا يمكن تصور عملٍ مهما كان نوعه خارج فضاء القيمة الأخلاقية، وخارج الفضاء الغيبي للدين، بما هو الفضاء الذي يحرث فيه الإيمان فالنية بهذا المعنى هي التي تمنح العمل بعده الرسالي، وبعده العطائي. فالعامل لا يعطي مجرد عطاء مادي حين يعطي، فهو لا يؤدي مجرد حركات أو إشارات مهما كانت طبيعتها، وإنما يسكب في عطائه بعضاً من روحه، بعضاً من قيمه ومبادئه ومعتقداته، وهو بذلك يتجاوز ذاته ليلاقي ذوات الآخرين في تفاعل متكامل، ما يجعل الأواصر التي تربطهم أواصر روحية، وفكرية، وعقيدية، وقيمية أخلاقية... فيسمون معاً، في نوع من التكامل الوجودي، حيث كلما يتسع وجود الفرد كفرد، يتسع وجود الجماعة ويشتد.

بهذا المعنى، لا يرسم الفرد نمط وجوده الخاص، وإنما طراز وجود مجتمعه أيضاً. فإذا كان خلاصة أعمال الإنسان تشكل في النهاية «لوحة وجوده وحياته»، فإن خلاصة تفاعل أعمال أفراد المجتمع ستشكل «لوحة وجوده وحياته» أيضاً.

---

[11] م.ن. ص ٧٥.

ومن الواضح، أن فلسفة الكمال تكمن في دفعها الإنسان إلى تجاوز ذاته باستمرار، ما يفرض عليه أن يبقى في حركة مستمرة، وفي سعي دائب لتصحيح مساره العلمي والعملي، وبالتالي، التسلح بسلاح النقد (التوبة)، ليتكامل ما فيه من الحقائق والقيم والمبادئ الثابتة.

إذا كان الفرد وجوداً مرتبطاً أو متعلقاً بالآخر، وإذا كان الفرد جزءاً حقيقياً من المجتمع، وإذا كان ما يخرج المجتمع من مفهوم الشركة إلى مفهوم الشراكة هو التبادلية والتفاعل بين أفراده، فما المؤدى الأخير لهذه النظرية أو هذه الرؤية؟

لا شك أن «الإسلام ككل مدرسة فكرية إنسانية يعتمد في الدرجة الأولى على تربية الإنسان، ولا يمكن تربية الإنسان وصيانة إنسانية الإنسان إلا عندما يتوفر للإنسان مجتمع إنساني. يعني إذا أردنا أن نربي الإنسان، وأن نجعل الإنسان متقدماً علينا أن نربيه ثم نكوّن له جواً صالحاً لصيانة هذه الإنسانية. ولذلك الإسلام، وكل فكرة إنسانية، الإسلام يهتم بتربية الفرد وبتشكيل الجماعة»[١٢]؛ ولذا ما «كان يمكن أن يبقى الإنسان الجاهلي إنساناً مسلماً متكاملاً إذا لم نؤمن له مجتمعاً إسلامياً صالحاً، المجتمع الذي يجعل الكفاءات تنمو ويصون طاقات الخير ويشرد الشرور ويحافظ على الحقوق والعدالة»[١٣].

لازم هذا أنه «لو كان يكتب للإسلام بقاء لكان يجب

(١٢) – مسيرة الإمام الصدر، م.س. ص ٤٨٧.

(١٣) – مسيرة الإمام الصدر، م.س. ص ٤٨٨.

أن يبقى المجتمع الإسلامي إلى جانب الإنسان المسلم، ولكن المجتمع الإسلامي سلب من الإنسان المسلم فبقي الإنسان المسلم مدة يمشي بقوة الاستمرار ثم سقط في صحاري التاريخ والقرون وانهار. هذه هي المشكلة، نقف عند هذه النقطة أساساً، ساعة أخذ المجتمع الإسلامي من الإسلام بدأ السقوط والتدهور في الإنسان المسلم»[١٤].

ثمة جدلية واضحة بين بقاء المجتمع الإسلامي، واستمرار المسلمين على سلّم التقدم وبين موت هذا المجتمع وانحدار أفراده نحو التخلف، فموت المجتمع يفضي إلى التخلف، كما يقضي مع مرور الوقت إلى موت الفرد المسلم نفسه، استناداً إلى قانون التغذية المتبادلة بين حياة المجتمع والتقدم من جهة، وحياة المجتمع وبقاء الفرد من جهة أخرى.

ولكن متى يموت المجتمع؟ بالاستناد إلى ما تقدم فإن المجتمع يموت عندما يفقد قدرته على التبادل بمعناه وروحيته الإسلامية، أي عندما يهبط من مستوى التبادل المشبع بالإيمان والقيم الإسلامية إلى المستوى المادي البحت، ويفقد الرغبة بالكمال، فتنضب عنده طاقته الحركية، وقدرته على العطاء.

وهنا يطرح سؤال هل يقف بناء المجتمع وتقدمه على منطق التبادلية الداخلية فحسب؟ بالتأكيد لا؛ لأن «التقدم المادي شرط أساسي للتقدم الإنساني.. الإنسانية المتقدمة هي الإنسانية التي تتوفر لها وسائل الحياة الكريمة، وتتوفر لها المعنويات والقيم

---

(١٤) – م.ن. ص ٤٨٨.

بمستوى التقدم المادي وطبعاً مع انهيار إحداهما ينهار أساس الإنسانية...»[15]. ذلك «يعني أن التقدم الأخلاقي، والتقدم في القيم الروحية ليس لوحدهما تقدماً إنسانيا، كما أن التقدم في التكنولوجيا ليس لوحده تقدماً إنسانياً. التقدم الإنساني، هو التقدم في مختلف جوانب حياة الإنسان» [16].

إذاً، لا يتأسس النهوض على مبدأ التبادلية الداخلية، أي بين أفراد المجتمع فحسب، وإنما يتأسس أيضاً على مبدأ التفاعل مع الطبيعة، مع هذا المبدأ يكتسب الإنسان كامل أبعاده: البعد العلمي - التقني أو ما يعرف بالبعد المادي - الطبيعي للإنسان، الذي يمنحه كماله العلمي - الطبيعي. البعد الإكسيوكوجي أو الأخلاقي والذي يمنحه فضاءه القيمي، البعد الميتافيزيقي أو البعد الإيماني الغيبي، والبعد الفني - الجمالي، والبعد الفلسفي أو العقلي والمنطقي المجردين.

لكن الاستفادة الحقيقية من شرط التقدم المادي، تكمن في أن لا «يفقد الإنسان الإيمان بالقيم المطلقة»؛ لأنه عندها «لن تكون هناك صداقة ولا عداوة، ولا صدق ولا حق، بل هناك المصلحة، وهناك الأنانية، فيصبح كل إنسان إلهاً في زعمه، غريباً في حياته، منفصلاً عن بني نوعه، شريكاً معهم في المصالح...، فيتحول العالم إلى شركات لا وحدات، وهذا هو الانفصال العميق بين أبناء المجتمع بعضهم مع بعض، وبين الأجيال المتتالية البشرية بعضها مع بعض، فالإيمان بالغيب ميزة الدين الضرورية وهو ضروري في حياة الإنسان ...» [17].

(15) – م.ن. ص ٤٩٥.

(16) – مسيرة الإمام الصدر، م.س. ص ٤٩٦.

(17) – أحاديث السحر، م.س. ص ٢٨.

هل ثمة مقوّمات إضافية لبقاء الأمة - المجتمع؟ وما هي في حال وجودها؟

يستفيد الإمام الصدر من القرآن الكريم حقيقتين متلازمتين:

الأولى: إن الأمم والمجتمعات تحيا وتموت، وأن لها آجالاً كآجال الأفراد.

الثانية: أن استمرار الأمم والمجتمعات حية مشروط بمقوّمات لا بدَّ من توفرها وأبرزها:

أولاً: ضرورة أن تدافع كل أمة عن نفسها، وأن تكون لها القوة والقدرة على ذلك، وأن لا توكل هذه المهمة لغيرها: «إن هذه الأمة الحيّة، هي التي لا تتجه في كمالها، وسعيها إلى الصلوات والعبادات فحسب تاركة أمر الدفاع للآخرين، ولا تتّجه نحو العكس من ذلك، بأن تستعمل العنف، وتترك الصلوات والرحمات، والعبادات، بل إنها تقرن الأمرين، فلا استسلام للقوة، ولا طغيان على الضعيف، بل الحق في كل حال»[18].

ليس المطلوب حيازة القوة المجردة، فالقوة غير المصونة بالقيم تتحول إلى وسيلة للطغيان، لذا لا بد من إخضاعها باستمرار لموازين القيم، وإلا فقدت وظيفتها الأصلية، التي تكمن في الدفاع عن الوجود، وتحولت إلى قوة غاشمة هدفها العدوان والهيمنة.

ثانياً: «الاعتدال في السلوك وفي الحياة وعدم الإفراط

[18] - أحاديث السحر، م.س. ص ٩٨.

والتفريط (...) سيما أمام الحاجات التي تتزايد لأسباب تعود إلى زيادة الإنتاج، لا لزيادة الحاجات (...) إن حاجات الإنسان يجب أن تُلبّى، ولكن الضرورية منها، أما غير الضرورية فهي إسراف وتزييف للحاجة، ولا حدود لها، وتلبيتها تؤدي إلى التهام جميع الأوقات وجميع النشاطات، وتجعل الإنسان أسيراً في دوّامة الحاجات المتزايدة، والمصطنعة» [١٩].

من هنا، «علينا أن نتجنب الحاجات التي تفرض علينا وسائل الإنتاج، كما اليوم، اقتصادنا، اقتصاد الاستهلاك» [٢٠].

وهذه نظرية نقدية نفّاذة لروح المجتمع الرأسمالي القائم على مركزة الصناعة غربياً في مقابل تحويل باقي المعمورة إلى أسواق استهلاكية. والروح الاستهلاكية عندما تسود ستسود على حساب الروح الإنتاجية. كما أن الاستهلاك لا يسود بمعزل عن قيمه الخاصة: قيم الشره، والرغبة بالبروز، والتبجح، والمنافسة العقيمة، واغتراب الإنسان عن نفسه، وعن قضاياه، واستغراقه في اللحظة، وفقدان الشعور بالتواصل مع ذاته، ومع الآخرين، وعدم عنايته بالمستقبل.

ثالثاً: «الظلم بجميع أنواعه: مع الله فهو الشرك ومع النفس هو هدر الطاقات، أو صرفها في ما لا فائدة فيه، وأيضاً الظلم مع الآخرين، بالاغتصاب، والاتهام، والإيذاء في المواعيد» [٢١].

---

(١٩) – م.ن. ص ٩٩- ١٠٠.

(٢٠) – م.ن. ص ١٠٠.

(٢١) – أحاديث السحر، م.س. ص ١٠٠.

رابعاً: «الخروج عن السلوك المستقيم، والتزام الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[22]؛ أي كل ما حرّم الله.

ماذا يعني هذا الأمر؟ إنه يعني أمراً أساسياً قوامه «أن ما في نفس أفراد الأمة، ينعكس على سلوكهم، وعلى علاقاتهم بعضهم مع بعض، وهذه العلاقات مقياس وجود الأمة الواحدة النابعة عن الأفراد المتعددة، المتكثرة، ومقياس تطورها أيضاً، ثم مقياس موتها»[23].

خامساً: للكلمة أيضاً دخالة وثيقة في حياة المجتمعات والأمم، ذلك «أن الكلمة قطعة من وجود الإنسان، وحياتها من حياته، أو ما يسمّى في الحالات المختلفة بالكذب، أو المبالغة، أو شهادة الزور، أو عدم الوفاء بالوعد، دليل على موت الإنسان، أو على الأقل انفصام شخصيته، وهو نوع آخر من الموت» [24].

أضف إلى ذلك، «أن الكلمة، هي العلاقة المحددة، المبرزة بين أبناء البشر، وانحرافها، أو فقدها للمعنى، أو عدم تطبيقها الدقيق لمعناها، كل هذه الحالات، تعرّض العلاقات الإنسانية للخطر، وتحطّم سلامة المجتمع» [25].

يعطي الإمام الصدر قيمة ووظيفة إنطولوجية للكلمة، فالكلمة ليست مجرّد حروف نتلوها، بل هي تجسيدنا الحي،

---

[22] – م.ن. ص ١٠٢.

[23] – م..ن، ص ١٠٢.

[24] – م.ن. ص ١٠٧.

[25] – م.ن. ص ١٠٩.

إنها النية مجسّدة، إنها الفكرة وقد اكتسبت جسدها أي حضورها الحي، الذي يمنحها قابلية الفعل والتفاعل، إنها القيمة وقد غدت سلوكاً معاشاً ومعايناً، لا مجرد أمر متعال، إنها وسيلة المتعالي لمحايثة، الكائن الحي، لذا، للكلمة هذا التأثير الخطير، فإما أن تقوي من روح المجتمع، من لحمته، من قدرته على التجاوز والحياة. وإما أن تقوّض أسسه، وتوهن من روابطه، وتضعه على طريق التفسخ والانقسام والصراع، وصولاً إلى الزوال.

## خلاصة:

لا ينظر الإمام الصدر إلى المجتمع نظرة سكونية. المجتمع في نظره ليس معطى فلسفياً أو مفهومياً. المجتمع واقع حياتي، وهو مركوز في جبلّة الإنسان كأحد أبعاده، التي يلزم عنها أنه وجود متعلّق، مرتبط، التعلق هنا ضرورة وجودية، بدونه يتقلّص المدى الحيوي للكمال الإنساني، هنا تحديداً تكمن أهمية التواصل، التبادل، التفاعل بين البشر؛ لأنه بدونها ينزوي الفضاء الاجتماعي إلى حدود القوقعة الفردية. في هذه اللحظة تماماً تموت الشراكة، بما هي فعل تواصل وتبادل وتفاعل، يموت الحيّز الاجتماعي، لمصلحة حضور الشركة بما هي مؤسسة أفراد تنتظم علاقتها في إطار المصالح الخاصة، بمعنى آخر، ينزوي الحيّز الاجتماعي في الإنسان، ينزوي معه الحيّز العام، لمصلحة بروز الحيّز الفردي، والمصلحة الخاصة. الأول، من مظاهره التروحن، والتعاون، والتكامل، والتوحد، والانسجام. الثاني من مظاهره طغيان المادي، التنابذ والصراع،

والتنافس المشبوب بكراهية الآخر. إن مجتمع الشركة هو مجتمع «حرب الكل ضد الكل» كما يقول هوبز، سواء بين أفراد الشركة، أم بين الشركة نفسها، وما تفترضه من شركات أخرى، فالشركة لا تنظر إلى المجتمعات الأخرى إلا بوصفها شركات منافسة يجب تحطيمها، وإزالتها من سوق المنافسة، أو على الأقل تحييدها وشلّ فاعليتها.

ولأن الهمّ العملي طاغ، والتحديات أكثر من أن تعد، ولأن جوهر الدين الإيمان يكمنان في العمل بقدر ما يتجذران في النية، فلا مجال، ولا وقت، لنزف التفكير النظري، بل لا بد من أن يأخذ الإصلاح مداه العملي مباشرة.

الهمّ نظري وعملي في آن واحد، كلاهما يعملان جنباً إلى جنب، فالإمام الصدر يمارس وجوده كإمام، بكل ما في هذه الكلمة في حمولة دينية عموماً وشيعية تحديداً، ولذا فهو يتعاطى الشأن الإصلاحي كما يتعاطاه المناضل السياسي، لا كما يتعاطاه المثقف النخبوي.

ولأن الهم العملي أيضاً طاغ، ولأن التحدي معيوش وملموس، وهو تحد الحياة والتاريخ، وقوانينهما التي لا ترحم، فالمطلوب التأكيد على المفاهيم العملية التي من شأنها إحداث النقلة المطلوبة، وتسريع هذه النقلة باتجاه بعث الحياة من جديد في أوصال المجتمع والجماعة. البعث هنا، ليس مجرد عملية إيقاظ فحسب، البعث هنا إقحام للجماعة والمجتمع والأمة في صميم معترك العمل، وملاقاة التحدي. لا يرى الإمام الصدر حلاً آخر،

لا يرى إمكاناً للإحياء خارج منطق مواجهة التحديات. فعلى المجتمع أن يصلح نفسه وهو في صميم المواجهة، أن يغيّر من داخله ومن محيطه في تلازم جدلي، وديناميكية جدلية لا تهدأ.

صحيح أن الإمام الصدر يعطي أولية للوعي، لكن الأولية هنا، تبدو فنية منهجية، لا تجد بعدها الكامل خارج نطاق العمل، ولذا كان تأكيده المتواصل على قيمة العمل بوصفه قيمة كمالية إنسانية من جهة، وقيمة اجتماعية كمالية من جهة أخرى، إضافة إلى تأكيده المستمر على ضرورة إيجاد وصناعة ما أسماه «المجتمع البطل» في مقابل ظاهرة «الفرد البطل».

# الاسلام ومستقبل الحضارة في فكر الامام موسى الصدر

د. عمر مسقاوي*

أشكر معهد المعارف الحكمية ومركز الحضارة على دعوتهم لي للمشاركة في الحديث عن فكر الإمام موسى الصدر حول الإسلام ومستقبل الحضارة.

لم أكن حين دُعيت للمشاركة في هذه الندوة قد تأملت في عنوان ما يجب علي أن أقدم فيه مقاربة حوله، لكنني قبلت المهمة وفاء لصلة بدأت منذ الستينات فأبقت على ود وإعجاب استقطب وعينا حول مشكلات العصر حين بدا لنا الإمام في محاضرته يطل على فسيح الإنسان، وهو يؤسس وحدة وطنية تجمع الخصوصيات المذهبية، والطائفية بخصائص الوحدة الوطنية عبر منطق جامع يتألف الجميع بروح القيمة العليا للدين متخذاً من حكمة القديس الأرسيزي القمم كلما ارتفعت تقاربت.

كان ذلك عام ١٩٦٦ وللشباب استشرافه بالجديد، وقد أورث ذلك من الإمام سمعاً لحديثه تناقلته المجالس المختلفة في المجتمع اللبناني إعجاباً وإذ تعرفت عليه حين بدت به صلة

* وزير لبناني سابق، ونائب رئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى.

مشتركة من تتبع دراسات المفكّر الجزائري مالك بن نبي وكنت أحد مريديه في دراستي الجامعية.

من روح هذه الصلة المشتركة رأيت من عنوان هذه المقاربة ما يمدني ببعض التشابه المنهجي، إذ استقيته من ذكر الأستاذ مالك بن نبي وقد أتاح لي ذلك استعراضاً موجزاً لفكر الإمام في قضية الإسلام ومستقبل الحضارة الحضارة الغربية ومستقبلها في القرن الواحد والعشرين.

لا بدّ في البداية أن نتساءل عن الحضارة الغربية ومستقبلها في القرن العشرين، فهذه الحضارة انتهت إلى أن فرضت معاييرها وقيمها، حيث حلّت بما نراه اليوم من افتتان بنفسها وافتتان آخر فبي شتى المعجبون بها وتسليمهم عاتقك على حد تعبير فخامة الرئيس الإيراني محمد خاتمي في كتابه مدينة السياسة، حيث بقي سيلاً جارفاً يحمل في طريقه المنضوين لها وما ذلك كما يقول فخامة الرئيس خاتمي إلا لفقدان الهوية التي تبنى عليها ثقافة ما، وتحيل إليها شؤون العمران البشري والاجتماعي في استشرافها لمستقبلها.

هذا المدخل إلى المشكلة يطرح معالم المتغيرات المستقبلية ودور الإسلام كرسالة في مستوى الإنسانية.

فعن كتاب «العولمة الثقافية» للكاتب الفرنسي جيرار لكرك ترجم حديثاً يختم المؤلف دراسته بخلاصة هي التالية:

«من حيث الأصل تعتبر الحداثة الأوروبية بامتياز وهي عالمية

من حيث انتشارها، من خلال التقريب كما هي كونية من حيث الطموحات لتكسب شرعية لا مشروطة، بل وعابرة لتاريخ وعابرة للثقافة. فإلى جانب العلم والتقنية اللذين صارت كونيتهما قاطعة لا يشك بها.

ويضيف المؤلف بأن الأيديولوجيا والعقائد في إطار العالمية الحديثة تسير نحو نوع من الكونية -حتى لو كانتا خلافاً للعلم- عرضة للمعارضة الصدامية.

ويرى تبعاً لذلك، أن العالمية لا تعتبر أمراً لا يتوافق مع التعددية الثقافية، ذلك أن التعدديات الثقافية تنطوي ضمناً على الوجود في التاريخ الأول من زمن عالمي وحيد تجري ضمنه في وقت واحد التعدديات الثقافية. فمع توحد العالم والبشر في فضاء العولمة الأوروبية فإن زمن التقاليد ليس زمن التاريخ، إذ لا يمكن للمجموع الكلي الحضور أن يطمس تجذر كل إنسان في وسط مكان خاص به يشكل بالنسبة إليه جذوره المحلية الجغرافية الثقافية.

هذه النظرة المتفائلة في مسرى العولمة نحو المستقبل هي صورة توفيقية بين نظرة فوكوياما في نهاية التاريخ ونظرة هنتنغتون في صراع الحضارات، وهي جميعها نذير انهيارالحضارة الغربية حين افتقدت البواعث في قيمها العليا، ومع ذلك، فإن الحضارة الغربية قد أجرت تحولات أساسية في بنية العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في ظل ثقافة السوق والاستهلاك، رغم أن مجراها قد وصل إلى مصبه الأخير كما يقول المفكر الجزائري مالك

بن نبي في وصيته الأخيرة قبل وفاته عام ١٩٧٣، تحت عنوان دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين.

## الإسلام ورسالته في إطار العصر الحديث:

«إذا اعتمدنا رؤية الإمام الصدر انطلاقا من نظرته منذ بداية النصف التالي من القرن العشرين نجد أنفسنا أمام موضوعنا «الإسلام ومستقبل الحضارة»، لذا وقد حددنا مستقبل الحضارة في مسارها المعاصر، فإن الإسلام ينطلق من إطار في اتجاه الإنسانية التي غدت ضحية حضارة الآلة والنظام المالي في حركة العولمة».

الإسلام باعتباره منار هداية لأهل الأرض عبر التاريخ، فإن الحضارة الإسلامية في تجربتها التاريخية كانت ميزان الاستجابة ومعيار تداول الأيام في النهاية كمؤشر لحيوية الاستجابة أو ترهّل حركتها وخروجها من مسيرة التاريخ. من خلال هذا المعيار لا بدّ أولاً أن نحدد موقعنا من الخط البياني لهذا التداول في المدى العالمي الذي يضعنا إما في المنحى الأخير منه نحو الزوال، وإما على عتبة مرتقى جديد في مؤشر جديد للتطور.

في هذا المدى، من مجريات الأيام والأحداث، لا بدّ أن نقرأ ما يجري اليوم، فقد دخل مستقبلنا في منطقة الشرق الأوسط من العصر الإسرائيلي في عالم عربي فعل عطاء وحضوراً وتقدماً، وهكذا وجدت التوقعات حول مستقبل المنطقة مداها في دراسات غربية متداولة ومنها كتاب النزعة الشيعية التي

صدرت في دراسة لمتخصص في الجغرافيا السياسية، والتسليم بمفهوم الصراع المذهبي كما توحي به الدراسات القائمة في السياسة الاستعمارية الجيوسياسية هو خيانة ثقافية وفكرية لمنطلقات حضارة إسلامية عربية وجدت ثقافتها في التاريخ بقوة الروح حين أضحى الإيقاع الثقافي والحضاري واحداً يجتاز حدود الممالك بين بغداد والأندلس بغير استئذان من سلطة.

فتفتيت الطرق إلى حدود كردية وشيعية وسنية هو تسليم مفتاح المنطقة لإسرائيل، وهو إبطال لمعنى الثقافة الجامعة والفاعلية والمحيطة بالمشكلات، حيث أفرز الإسلام مناخاً لوحدة الإنسان في مفهوم كوني شددت عليه رؤية الإمام موسى الصدر ما سوف نعرضه في هذه المقاربة:

## الإمام كمفكر:

### المكونات الأولى في منطلقات الإمام موسى الصدر في بناء عصر إسلامي جديد:

من خلال تتبعنا لما ترك السيد موسى الصدر من إرشادات في دروسه الرئيسة التي قدمها، باعتباره مرجعاً دينياً يتابع مسيرة من سبقه في جبل عامل والجنوب، من خلال تتبعنا لدروسه هذه التي نشرتها مؤسسة الإمام نستطيع أن نجد في بنائها الأساسي ذلك الصدى الذي خلفته روح العصر في مرحلة الخمسينيات من القرن الماضي.

«فالإمام موسى الصدر كمؤسّس لما خرجت بعده من دراسات إسلامية الحوزة الشيعية حول المعاصرة وحضارة الغرب

قد اتبع منهج القاعدة الأساسية الحيوية العقيدة في مواجهة معطيات العصر. إنها الإيمان أولاً الذي يحدد الخيارات في عمقها الإنساني».

لذا فهو لم يطرح القضية من جانبها السياسي كما كان شائعاً في دراسات مماثلة منبنية على فكرة الدفاع عن الإسلام كحضارة وعقيدة في مواجهة الحضارة الغربية، إنما شاء في خطابه الإرشادي أن يلج معطيات العصر ويتحدث بلغته، وهو يوظف روح مريديه من إدراك تربوي بفعل الطاقة الاجتماعية تسارع في الخيرات في مداها المطلق، وتأخذ قصب السبق في فاعلية الرؤية والإنجاز. ويتضح أن المفهوم المطلق لمعنى الخير سوف ينطوي في عباءته كل ما راج من مذاهب اقتصادية في معناها المادي، ويمكن أن نعتبر كتابه حول الاقتصاد الإسلامي الذي كتبه باللغة الإيرانية عام ١٩٥٨ المنطلق الأساسي في تفكيك المصطلحات التي أسّست لمفاهيم الرأسمالية ثم الاشتراكية مع ماركس في ظل فلسفة القرن التاسع عشر، وذلك ما كان رائجاً في الخمسينيات، يقول الإمام: «إن علم الاقتصاد يعدّ حالياً أحد أهم المسائل وأكثرها تأثيراً في المصلحة الاجتماعية لكنه علم حديث دونت أسسه وأصوله منذ أربعة أو خمسة قرون فقط، فأصبح مثل سائر العلوم له مبادئ وقوانين؛ ولذلك فعندما نتحدث عن الاقتصاد في الإسلام، فإننا نعني الأحكام والقوانين التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمسائل هذا العلم، وإن لم يرد اسمه أو ذكر أصوله كعلم عن النصوص الدينية. فالإسلام وضع القوانين الاقتصادية وعرضها للعالم بمنتهى الدقة لكن محور

هذه القوانين يقوم على العدالة التي لا تسمح باستغلال العامل أو إضمار الحقد لرب العمل. فالعناصر الأساسية للاقتصاد تتلخص بثلاثة هي: العمل، رأس المال، الآلة والاختلاف بين الاقتصاديين هو في مدى دور كل من هذه العناصر. والاقتصاديون القدامى كما الجدد قد منحوا الدور الأكبر لرأس المال. ولئن تعرض هذا النظام الذي أطلقوا عليه الرأسمالية لتغييرات كمية مهمة، حيث زادت من تحسن الوضع المعيشي للعامل وفقاً لتطور الحياة المادية وارتفاع مستوى المعيشة إلا أن هذه التغيرات كانت من أساسها تغيرات شكلية، ولم يكن للعامل حصة فيه لأنه أصبح أحد وسائل الإنتاج ويخضع عمله لهذا القانون من العرض والطلب من حساب كلفة الإنتاج.

وهكذا أصبحت الطبقة العاملة أسيرة النظام الرأسمالي. ويشرح الإمام في هامش دراسته للمذهب الاقتصادي في الإسلام المصطلحات التي أفرزتها نتائج الرأسمالية، وإنتاج السوق فتحدث عن الحركة التي دفعت إلى تسهيل اكتساب علمي في إطار من النفعية القائمة على مفهوم السوق وقواعد المنافسة التي تقوم على نزع المشترى من زميله إلى آخر ما هنالك من تفريع في علم الاقتصاد الحديث، ثم يعمد الإمام إلى الاتجاه المعاكس الذي نشأ في القرن التاسع عشر مع ماركس، وذلك بتأكيد أن الناتج الحاصل بأجمعه هو من نصيب العامل، ولم يعترفوا بأية حصة لرأس المال ولوسائل الإنتاج.

لا شك أن الاستفاضة فيها من الإمام سوف تخرجنا عن إطار رؤيتنا في عنوان المقاربة مستقبل الحضارة والإسلام.

وهكذا ينتهي الإمام إلى نتائج أساسية هي أيديولوجية الالتزام التي تحدد الاتجاه وتوجه النشاط الاجتماعي إلى أهدافه، ومن هذا الإطار يأخذ الاقتصاد دوره ومعناه كعنصر أساسي في توصيف وتوظيف الطاقات المستجيبة للنداء الإلهي.

فنحن عندما نقول الاقتصاد الإسلامي لا نقرأ ذلك من القرآن أو من السنة بصوت محدد، ولا كذلك في سيرة الأئمة الأمناء على منازل الوحي، لكننا إذا درسنا العلاقات المالية بين المسلمين بعضهم لبعض، وإذا درسنا أسلوب الإسلام في الإنتاج والاستهلاك نكتشف مذهباً اقتصادياً ونتأكد من أن الأحكام الإسلامية لم تأت صدفة ولا عفواً، بل جاءت مركزة على قواعد اقتصادية معينة، وهذا ما يسمى بالمصطلح الحديث المذهب الاقتصادي.

ومن هنا، فمبدأ الإيمان بالله هو منطلق مبدأ الايديولوجية، والالتزام إنما الالتزام بالمفهوم الكوني ودور المسلم من حمل أمانة الخيار.

فالرسول دعا إلى قول لا إله إلا الله «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»، ومن هنا ستبدأ أيديولوجية الالتزام بالدين قوة أساسية في ترسيخ حركة التاريخ. إنه الفلاح في الأمر كله الذي هو اتجاه إنساني شمولي في سائر المذاهب الاقتصادية المختلفة التي تطورت تحت عنوان فلاح ما أملته الثقافة.

فماركس التاريخ ثم حاول من وراء مكتبه وكتبه وليس تعبيره الشهير رغم رغبته ولكن أي تاريخ؛ إنه تغير تاريخ

الحضارة الغربية في تفاعل نشأتها منذ اليونانية الوثنية إلى اليهودية المسيحية إلى روما، لكن الإيمان بالإسلام حدد مسيرة التاريخ عن إطار بين الهداية الكونية والضلال من المسيرة، وهذا ملك المجتمع الإسلامي قواعد التغيير، إنها جادة الإرشاد الإلهي، إنه تغيير النفس الذي هو مبعث الفاعلية في الروح الجماعية للعمل، والاقتصاد سار كأساس لسعي الإنسان. ومن هنا فالفلاح في مفهومه المطلق تعني تحول المجتمع من وضع كان موجوداً فيه إلى وضع من رشاد النظام الإلهي، ومن هنا لا يمكننا أن نفسّر جميع العوامل المؤثرة في حركة الشرع في عامل اقتصادي محض، بل هنالك عوامل أخرى ترجع لطموح الإنسان ولأهدافه وللرغبات الروحية السامية لدى الإنسان والتي أثّرت في تكوين المجتمعات فالفلسفة الإسلامية رافقت حركة التاريخ في سائر تحولات النفس والحياة والمادية الديالكتية في الاقتصاد ليست النموذج الوحيد، فهناك من رؤى الفلسفة الروحية ما تبدو معالمه من القضية ونقيضها ثم الانتهاء إلى سواء النتائج في تحولاتها الروحية. فالإنسان يجنح دائماً للكمال وينتظر من تفاؤل ظهور المصلح والإمام الغائب يدخل في هذا الأفق، باعتباره يصلح آخر الأمر بما صلح به أوله.

فالمذهب الاقتصادي في الإسلام هو اختيار الإسلام نفسه والمشكلة في النهاية تتفق لدى الإمام مع ما انتهى إليه المفكّر الجزائري مالك بن نبي أن الفكر الإسلامي الحديث يضيّق على نفسه مجال اجتهاد حقيقي بمسلّمات ضيقة يمكن حصرها فيما يلي:

١- أن الموجود من المذاهب الاقتصادي هو ما يمكن إيجاده.

٢- أن النشاط الاقتصادي لا يمكن من دون تدخل مالي.

وهذا قد أدى إلى انحرافات أساسية لمن يراجع الفكر الإسلامي والرأسمالية في أسسها الناشئة من تطور إنتاج الحرف التي لا ترتبط بمفهوم الحاجة، ولا كذلك أسس المنهج الاشتراكي، وهو إذا أباح الرأسمالية فهو لا يصطدم بروحها فحسب من حرية المال، بل بشروطها الفنية، فالرأسمالية تقتضي استثمار المال بوصفه الوسيلة الوحيدة لدفع عجلة الاقتصاد؛ لذا تلجأ العملية تجميع الأموال وتركيزها في البنك لتقوم بتوزيعها وتوظيفها على القطاعات الإنتاجية على أساس الربا في عمليتي التجميع والتوزيع.

فالمسلم الذي يختار هذا الاتجاه في محاولة تخليص الرأسمالية من الربا يكون من الناحية الفنية، يحاول تخليص جسد من روحه ويرجو أن الجسد سيبقى حياً، وإذا نجح عن حل نظري في قضية الربا يطابق الفقه الإسلامي يكون هذا أوجد روحاً بغير جسد.

فالإمام الصدر يتفق مع مالك بن نبي في هذا التوصيف؛ لأن الفكر الإسلامي مدعو إلى الانطلاق من مرتكزات الإيمان أولاً والتأمل والتدبر في آيات الله في القرآن الكريم. فكلام الله يختلف عن كلام البشر، ففهم كلام البشر محدود بمستوى علم الكامل ولا يمكن تجاوز هذا الحد، لكن مستوى كلام الله لا حد له، وكلما ازداد المسلم التعمّق فيه يتضح للفقيه كما

للفيلسوف، كما للمنطقي في آلاء الله بروحه معنى جديداً، والإمام في هذا يناقش المستشرق كوربان رغم احترامه لدراسته ليؤكد أن تراتب الفهم في كلام الله هو تراتب إدراك وتفاوت فهم؛ لأن غيب كلام الله أوسع من رمزية المعاني الأرضية مهما أوغلت رموزها؛ لأنها تظن رموز الإدراك البشري فيما غيب الله حقائق تستدرج فهم الإنسان في كل زمن.

## الإمام كمرشد وموجه في الإطار الديني الوطني

### الإمام في مرحلة دوره الطبيعي كمرجعية شيعية في لبنان

لقد كان الإمام السيد موسى الصدر «حينما أطل على المجتمع اللبناني كمرجع للشيعة في جبل عامل منذ عام ١٩٦٠ قد حمل معه نضوجاً في بواكير رؤيته لهذه الحضارة» التي تحطمت أركانها في نهاية الحرب العالمية الثانية. فقد كان الأوروبي كما يقول ابن نبي ينظر إلى التقدم العلمي كميزة يمتاز بها عقله، وإلى الحضارة على أنها فطرته، وإلى الاستعمار على أنه امتداد حضارته وكانت هذه الأشياء تحقق الإجمال من الداخل، والإعجاب من الخارج لكن الحرب العالمية الثانية حطمت وحدة أوروبا المعنوية وفقدت مسوغاتها.

وهكذا جاء كتابه الذي نشر باللغة الإيرانية عام ١٩٥٨ بداية افتتاح لمنهج جديد حول مذهب الإسلام الاقتصادي يمنح أفقاً جديداً لرؤية جديدة، بدأ يطرحها في مختلف مساحة الفكر الخميني والسني في لبنان على تنوعه وعبر الندوة اللبنانية. ففي عام ١٩٦٥ ألقى محاضرة في الندوة اللبنانية حول

الإسلام وثقافة القرن العشرين؛ شاء أن يقدم الإسلام كقيمة ثقافية تربط بين السماء والأرض وتصل الإنسان فرداً أو جماعة بالقيمة الربانية كقيمة مقدّسة، تذكي البواعث في توظيف الملكات لبناء حضارة تقي الإنسان من مصارع انهياره في حضارة الآلهة وقد أعطت نذرها منذ منتصف القرن الماضي.

وهكذا أسس منذ البداية مفهوم الإنسان كقيمة مقدسة تربط بالنظام الكوني كأساس لبناء الحضارة المرتبة، لكن الإمام يمنح هذا الإطار تأسيساً روحياً لا سابق له في مجمل دروسه التي ألقاها على مريديه في لبنان، ونستطيع أن نلخص مجمل رسائله في هذا الإطار وفق الأسس التالية:

**الأساس الأول:** القيمة المقدّسة للإنسان المرتبط هديه بالنظام الكوني ويبنى على ذلك أن الإسلام يرحب بكل حركة فكرية إيجابية وكل تطوير عقلي سليم، ويعتبر ذلك جزء من رسالة الإسلام.

وهو لذلك لا يتحفظ على أي نشاط كخيار إنساني؛ لأن حرية الاختيار في الإنسان عموماً هي أساس قيمته وكرامته على سائر المخلوقات.

**الأساس الثاني:** إن قيمة الشهادة على الناس هي الاندماج في الحياة العامة على اختلاف الخيارات والمذاهب؛ ذلك أن الشهادة على الناس في الإسلام تنطلق من معيار الرسالة الإسلامية نفسها كدين عملي قائم على المعاملة والتعاون الاجتماعي، لذا فهذا المعيار يتحدث من خلال أداء المسلم وليس

دعوته للإسلام. فالدين كسلوك له مقام أساس يعلو سائر العلوم مما ابتدعته النزعة العقلية من علوم الأخلاق والنفس والفلسفة والعلوم الإلهية؛ لأن هذه العلوم مهما اتسعت وكبرت، فإنها تقصر عن الإحاطة بغيب الاتساع الكوني ومداه في عالم الغيب، وهي في النهاية تعفو لاستقطاب القيادة الإلهية لضمير الإنسان وروحه وينطلق هذا المفهوم من الآية الكريمة **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**[1].

فالله وراء قلب يقوده في جميع أفعاله وأخلاقه وأحاسيسه إلى ما اختار هداية أو ضلال **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**[2] .

**الأساس الثالث:** أن الشهادة على الناس باعتبارها عملية وتبادل وتأثير دافع من الحيوية والإيمان قد حددت فاعلية التكوين التربوي والثقافي في الإرادة والأهداف والاندماج الاجتماعي، إذ هنا الفاعلية هي التي تحدد الشروط الفنية والعملية لوحدة الشهادة ولصحة أدائها أمام الله كمسؤولية وأمانة، إذ كيف يمكن أداء الشهادة بغير اندماج في موضوعها؟ وهذه المكونات هي الجانب العملي لفاعلية الحضارة في التاريخ وقدرتها على الإنتاج الفكري والاجتماعي في تحديد سبيل الحياة اليومية في استثمار الترف والبيئة والحياة الروحية، ولكن أموراً تعرضت لها جميعا مكتبة الحضارة الإسلامية

---

[1] – سورة الأنفال، الآية ٢٤.

[2] سورة ق، الآية ١٨.

في سائر نواحيها الإنسانية.

**الأساس الرابع:** عالمية الإسلام؛ إن مقتضيات الشهادة وأهدافها تحدد عالمية الإسلام، باعتبارها خطاباً إلى الناس جميعاً، فالإسلام كما يقول الإمام في أحد دروسه هو الانضمام والانخراط في سلك جميع السماوات والأرض والاتحاد معهم في المبدأ والمسار الموجه أزلياً انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾[3].

**الأساس الخامس:** القداسة هي للإنسانية جميعاً وليس لفئة أو جنس.

يؤكد الإمام في دروسه أن الله الواحد الأحد، ليس كمثله شيء، وله الأسماء الحسنى فادعو بها.

فهذا التجريد والابتعاد عن الشبه لله تعالى ينزع صفة القداسة الذاتية؛ أي قداسة الفرد أو الفئة أو الجنس وتميزه عن المخلوقات كما هي النزعة الغربية في تصنيف البشر مباشرة بالخصوص التلمودية المبنية على الاتحاد مع الله الذي انتقل من السماء إلى الأرض في إدارة المسار النهائي للمادة الغربية، فالقداسة هي لامتياز الإنسان والإنسانية عن تكوينه الخلف البيولوجي. ومن هنا فالكمال الإلهي ينعكس على الكون كله وليس على إنسان بالذات، ومن هنا يصبح الإنسان عبد

---

[3] – سورة آل عمران، الآية ٨٣.

الله حراً متحرراً من كل قيد عقلي أو عملي ليحيط بشؤون الحياة بفعالية منفتحة على العالم كله بغير عقدة أو نقص مما هو اليوم في دراسات النخبة الإسلامية في موقفها من الحضارة الغربية.

ومن هنا فالمسلم يعترف بجميع جوانب وجوده وجميع رغباته، ويحاول تنظيم صلاته معها، ومع الناس في وثيق نشاطه ليلعب دوره الكوني؛ أي دور خلافة الله في الأرض كما رأى مؤلف كتاب L'humanisme de L'islam إذ يراه في مفهوم الإسلام الكون الأصغر مقابل الكون الأكبر وهكذا تتجلى القيم الروحية الصوفية أساس الحفاظ على الأمانة.

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر.

كما قال ابن عربي: ومن هنا تنطلق القيم الروحية التي تقدّس جميع الموجودات الكونية التي تسجد لجلال الله﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً**﴾[4]، ومن هنا يصبح المسلم ألصق بواجبه منه بحقوقه لأنه يحمل رسالة الخلافة الكونية من مسيرة الإنسانية، فالله يقول: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ**﴾[5]. ويتساءل الإمام كيف فضل الله الإنسان على سائر مخلوقات السماوات والأرض والملائكة لأنهم يسجدون لله طوعاً وكرهاً بغير إرادة؟ لكن الإنسان حمل الأمانة لأنه يتمتع

---

[4] – سورة الرعد، الآية ١٥.

[5] – سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

بتكريم الاختيار والحرية والمسؤولية ليكون في ذلك خليفة الله في الأرض في القيم المطلقة لمعاني الخير والفلاح، ومن هنا ندخل إلى النظام الاقتصادي الذي بدأ به هذه المداخلة.

**الأساس السادس:** التنمية في الاقتصاد المتقدم هي مسؤولية إنفاق في سبل التقدم والإبداع، لقد حددنا في بداية هذه المقاربة المشروع الاقتصادي في الإسلام، باعتباره نتيجة لحركة المجتمع في رعاية الإرشاد الإلهي وحدود الإنفاق وتوزيع الثروة عبر الأوامر الإلهية المنزلة. وهكذا يستند الاقتصاد على البواعث الداخلية في الإنفاق التي تمثل وعياً ثقافياً يعبر عن شخصية المجتمع. فالحضارة الإصلاحية حيث مرت إنما هي صورة زاهية لثقافة الإنفاق الفردي عبر عبادة الوقف الخيري.

وعلى ضوء هذه المنطلقات يتأسس مفهوم المجتمع الذي لا بد أن يقوم على تبادل وتفاعل بين كافة الطاقات والكفاءات لصالح المجتمع.

وهذا ما تشير إليه الآيات الأولى من مفتتح سورة البقرة التي تحدد البواعث الأساسية في سياسة الإنفاق الفردية التي تمثل وحدة المجتمع الكلية. فالآيات الأولى تحدد ذلك كله في ترتيب أولي يسبق الإنفاق كواجب.

١- ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾.

٢- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

٣- ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ﴾.

٤- ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾.

٥- ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾.

هذه المقومات الأساسية من بواعث الإنفاق تشكل وحدة متكاملة أساسها الإيمان بالغيب، الذي هو المعنى الأسمى للقيم المطلقة التي لا تقوم على التبادل، وقد أعطت الآية في مضمونها المعنى المطلق كما فسّر الإمام، إذ الإنفاق ليس دفع المال فحسب، بل هو العطاء في معناه الواسع بالعلم والفكر والطاقة وكل ما يعبّر عن فاعلية الأداء الاجتماعي. وهكذا تصبح التقوى ميزان الشخصية في أدائها الثقافي والحضاري في الأوقاف باعتباره إنفاقاً فردياً أعطى الحضارة الإسلامية صورتها الزاهية في الفنون والإبداع في مختلف الحضارة الإسلامية.

وإذا كنا اليوم نتابع تقدم الأمم بما تنفق في سبل العطاء والإبداع والتقدم، من خلال مركزية الدولة، فإن الإسلام في مشروعه الاقتصادي منح مركزية الإيمان في الأفراد كل طاقة الأمة من خلال وحدة المجتمع الذي يوظف فيه المال، أما الآلة وما تستدرج من وسائل، فتلك صورة ذلك التقدم في مداه العملي.

من هنا فحين نتساءل عن صورة الإمام موسى الصدر عن الإسلام والحضارة نستطيع أن نقول: إن الإسلام هو مستقبل الحضارة.

# شهادة معرفة وحياة

## المطران جورج خضر

سوف أقول كُليمات صغيرة لأترك المجال للأخوين المداخلين لا أستطيع ان أتكلّم عن الإمام موسى الصدر بلا تأثّر كبير؛ لأني عايشته وعايشني بمحبته الكبيرة. مع ذلك سوف أقمع انفعالي لأقول ما قد ينفع المؤمنين في هذه المناسبة، لست أغالي لو قلت أنّ الرجل كان رجلاً إستثنائياً في هذا البلد، وربما في العالم العربي.

لم أشاهد إنساناً لديه هذا التهذيب الجمّ الصادر عن القلب. أنت لا تستطيع أن ترتّب علاقاتك مع الناس إلا اذا كانت صادرة عن القلب، وهذا يعني أنّه أحبّ كل الناس في هذا البلد إلا الذين يكذبون، أعترف لكم اني سمعته يتكلم في قريتي الحدث قريبة من بيروت، ولا أذكر أنه استشهد بالآيات الكريمات فقلت بنفسي أنه أول مسلم أسمعه يتحدّث كمفكّر عادي شبه علماني في لغتنا، أو يتحدث في هذه الدنيا، وكان يثير الدهشة بأنه عرف سر هذا البلد رغم أنه عاش فيه قليلاً، أتى من بلدٍ ترعرع فيه وانضمّ إلى لبنان انضمام العاشق للمعشوق، وفهم كيف يخاطب اللبنانيين جميعاً، بحيث يتمكنون من أن يتبعوا فكره.

الأمر العجيب، أن أبناء شعبنا لم يكونوا فقط قدّروه، ولكنهم أحبّوه وكنت قادراً على تلمّس صدقه في كل ما كان يقول والإخلاص الكامل، وأنا من نوع البشر الذين يقتنعون أولاً بالرجل ثم يحبّونه، اقتنعت بموسى الصدر أولاً، ثم جذبني إليه وقد أراد أن ينهض بلبنان كله، عن طريق بحث روحي فلسفي مجتمعي لطائفته، وهذا أمر شرعي، نحن ننشأ في مجتمع ديني في لبنان، ولكننا نذهب إلى كل الاطياف، أن جعل الله في قلوبنا محبة طيبة صادقة هذا ما تثبته كل الفقرات التي عايشته فيها.

فأن يرحّب به أهل كسروان كما يرحّب به أهل الضاحية أو أهل الجنوب فهو أمر عجيب. أن يجترئ رجل على إلقاء محاضرة موعظة في إحدى الكنائس والكاميرا أظهرت ظهره عند الصليب راجعت منذ يومين هذه الموعظة، والتي كان فيها من قبل الآباء الكبّوشيين جرأة لأنّ موسمهم الطقوسيّ آنذاك كان موسم الصيام الكبير، الذي يأتون به بواعظ كبير من ملتهم، أن يجترئ كاهن أرثوذكسي مشرقي عربي على هذا، أمر مفهوم تقريباً، ولكن أن يحسب الآباء الكبوشيون الكاثوليكيّو المذهب أنهم جاؤوا ليتعظوا ويستمعوا إلى عظة الصيام، هذا كان منهم كما كان منه إقداماً على شيء جديد. أن يكون هذا الإنسان الكبير الكارزماني كما يقولون اليوم أنّ عليه من قبل الله أن ينعش جماعته الدينية، هذا أمر تقبّلته بما كان في فكري من تربية ماركسية أن ماركس أراد أن ينهض بالشغيلة لكي ينهضوا هم بالعالم، قلت في نفسي -وأنا صادق فيما أقول- لماذا لا ينبعث الشيعة

ويرتفعون إلى الدرجات العُلى في الروحانية والثقافة والنضال الاجتماعي؟ لماذا لا يرتفعون هم ثم نحن نرتفع بهم؟

نوقش في هذا البلد قوله « السلاح زينة الرجال» وتخوّفوا من الوضع المتأزم القائم في البلد ثم راجعت الوثائق، أنا لا أستسلم بسهولة الى اي كلام ولا أؤوّله. درست الوثائق ووجدت أن الرجل يتكلّم على سلاح موجّه ضد العدو، ولم يخطر بباله أن ينشئ ميليشيا شيعية، فكّر بدعم هذا البلد، وبدعم مقاومة ممكنة لإسرائيل، ما حدث بعد هذا لم يكن مسؤولاً عنه ولا أنا. وهنا أودّ أن أبوح لكم بسرٍّ مجهول هو أنّ ما تبقى من موادّ من شرعة حركة المحرومين كُتِب في بيتي في برمانا وكانت الدنيا رمضان، وأنا أعرف أنه يحبّ الشاي، فإذا كنت شيعياً فأنت تحبّ الشاي، كان يهيّأ له فنجان تلو الفنجان، كنّا ثلاثة رجال أنا وهو وميشال أسمر، وعلى الحقيقة أني التقيت الامام على ما أذكر للمرة الأولى في تلك الندوة التي عرفت بالحوار الإسلامي المسيحي، ثم كان وقت التشريع لحركة المحرومين، كنا نقول في بيت الطائفة وقال الآن المطران جورج خضر يكلّمكم ثم قال ما أبهرني كثيراً، « إنّ المطران جورج خضر هو معلّمي بالمسيحية» وأنا لم أكن معلِّماً.

أخيراً: الدكتورة سمر نصّار رحمها الله أقامت ذات مرة حلقات عن لبنان كله وكلفتني بأن أتحدث في ساعة واحدة عن المسيحية وهذا أمر غير معقول، ضغطت كلماتي وكان الإمام حاضراً مستمعاً على ساعة ونصف كنت اقول: إنّ الله حسب المسيحيّين أرسل ابنه لخلاص العالم، وأراد المولى أن يعبّر

بهذه الطريقة عن محبته للبشر، وأعطي الكلام للمناقشين، واستغربت أنه لم يتدخّل ليرفض كلامي حسب علم الكلام الإسلامي كان دوره في اليوم التالي فقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1] فاعتبرت أنّ استشهاده بالآية كان نوعاً من الردّ اللطيف على ما قلته، ثم قال: «إنّ المسيحية تقوم على ثنائية الخير والشر لقول إنجيل يوحنا: إنّ الشيطان رئيس هذا العالم وكان عليَّ أن أردّ التحية بمثلها، فلم أعترض ثم بعد إلقاء كلمته، وقلت له هذه ليست ثنائية بل هي ملاحظة. فرأيته يأخذ قلم الحبر من داخل جّبته، وكان قلماً ذهبياً، وشطب هذه الكلمة من محاضرته مما زادني إعجاباً، وفهمت أنّ هذا الرجل يسلّم نفسه للحقيقة.

هذا الغياب الشرير الذي حلّ به يجعلنا مقيمين في الحزن من ناحية، ولكنتا مندفعون إلى الرجاء من ناحية أخرى جلّ ما أردت قوله عبارة أرثوذكسية أنه كان أيقونة، وكان يحمل العشق الإلهي في نفسه، وكان يؤمن بأن العمل الوطني والسياسي يمكن للإنسان من خلاله أن يستلهم الله، ويكون رجلاً إلهياً في خدمة الوطن وسيادته. والسلام عليكم.

---

[1] سورة ق، الآية ١٦.

# الحرية وبناء المجتمع المقاوم

السيد عبد الحليم فضل الله*

العلاقة بين الحرية والالتزم الاجتماعي أو السياسي علاقة إشكالية بحد ذاتها، ففي داخل كل التزام غير تعاقدي تلوح سلطات قاهرة، من النوع الذي يسلب الإرادة أو يستتبعها، أو يجعل الالتزام بالتحرر الجماعي متعارضاً مع احترام الخصوصيات، ومراعاة الحرية الفردية.

في معالجة الإشكالية أعلاه، وهي تحديداً عن دور الحرية في بناء المجتمع المقاوم يستوقفنا سؤال مركزي:

هل إن المقاومة مبادرة اجتماعية شاملة تتأسس على إرادة الجماعة، وتتخذ من المجتمع قاعدة لانتخاب خياراتها، وهي من ثمّ طريقة من الطرق التي يعبر من خلالها عن آماله ومطامحه؟

أم أنها فعل تاريخي، راديكالي بمعنى ما، مهمتها التأثير على حركة التاريخ وإعادة إنتاج قوانينه ومساراته لتتناسب مع الغايات العليا والمثل الثابتة المستقاة من خارج المسرح الاجتماعي؟

نحن إذاً أمام مدخلين: اجتماعي واقعي، وتاريخي جذري.

---

* نائب رئيس المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق.

بحسب المدخل الأول، يفترض أن توظّف المقاومة الإمكانات الإنسانية والوطنية المتاحة لتحقيق أهدافها وهي بداهة التحرير ورد العدوان، لكنها تعتمد من أجل ذلك مساراً يتسع لغاياتها الخاصة ولغايات المجتمع الأخرى، وينسجم مع وعي المجتمع لما يريد وما لا يريد، للتقدم والتأخر، للتجديد والتقليد، للإصلاح والجمود... بالتالي، فإن رؤية المقاومة لذاتها لا تكون معزولة ولا منقطعة عن رؤية المجتمع لنفسه.

المقاومة في هذا المدخل هي فعل مستمر، تسري نتائجه وتتسع لتطال مجالات لا تقع مباشرة في مرمى اهتمامها، إنها بمثابة صدمة داخلية المصدر، تشعل فتيل التغيير والنهوض العام من دون أن يكون القائمون عليها هم المعنيين حصراً بأعبائه ومترتباته. فالمسؤولية هنا تقع على عاتق القوى الاجتماعية المؤثرة، التي من واجبها استيعاب قوة التحريك الناشئة عن المقاومة وصبّها في القنوات المطلوبة.

قرار المقاومة وفق هذه الرؤية هو قرار مركب ومتصاعد يبدأ من الطليعة المجاهدة، ويمتد ليضم إليه تباعاً فئات وشرائح أخرى، وهو لهذه الغاية يستوطن البيئة الاجتماعية السياسية الثقافية، يراعي تراتبية الأهداف المرسومة، لكن من دون التسبب بزيادة الضغط الاجتماعي. فوجود المقاومة يؤدي تلقائياً إلى اختلاف في توازن العلاقات الداخلية يعمل المجتمع على استعادته عبر إعادة تنظيم نفسه. وكما أن المقاومة لا تنفرد في تحديد أهداف تفرضها فرضاً على بيئتها، تستمد أدواتها وآليات عملها من صميم هذه البيئة وعلى نحو يحفظ لها الاستقرار في

المدى الطويل.

في المثال اللبناني الناجح كان منتظراً أن يفضي المسار الداخلي الذي حقق الاستنهاض الوطني نحو الانتصار، إلى إطلاق سيرورة أخرى تحقق التقدم والنهضة، وهذا يتطلب انتقالاً من التكيّف الأولي مع مستلزمات العمل المقاوم إلى التكييف الثانوي لنتائج هذا العمل في سياق إيجابي يراعي قواعد الاجتماع البشري ويندمج بحركة التاريخ.

المدخل الثاني بخلاف الأول، يعتبر أن المقاومة (الجهاد)، فعل تاريخي فحسب، يستجمع خيوطه من خارج الخيارات التي تعتمل في حاضر المجتمع الذي تنشط فيه، هو بالتالي صدمة خارجية المحتوى حتى ولو تولتها قوى داخلية، ومبادرة طليعية مكتفية بنفسها، تسخّر الطاقات عنوة لخدمة أغراضها الخاصة، من دون أن تراعي التسويات الاجتماعية، مع أن بعضها تطلب عقوداً طويلة وحروباً مدمرة، ومن دون أن تهتم بإمكانية تحقيق الأهداف في إطار سيرورات متدرجة. بكلمة مختصرة المقاومة في هذا المدخل فعل نخبوي مجرد، متعالٍ على الحقل الاجتماعي، يقتصر اهتمامه على تحديات طويلة الأمد وغير مرئية من منظار آني وقريب، التعالي معناه هنا أن أقلية ضئيلة ستفرض على المجتمع أهدافاً بعيدة إلى حد لا يمكن معه لعموم شرائحه إدراكه، ولا يتيح لها تشكيل وعي جديد.

الفارق الأساسي بين المدخلين، أن الأول يندرج داخل مشروع داخلي متنوع تقع المقاومة في مركزه، وفيه يتم

تكثيف الإمكانات في سبيل الهدف المركزي المنشود أولاً، وبعد التقدم في تحقيقه، يتم تالياً تسييل النتائج في المجال الاجتماعي العام. المشروع هنا يتقدم بإطراد، يهتم بالنتائج القريبة والبعيدة، ويتجنب اعتماد مسار معجل يزيد من ثقل المهمة. أما الثاني فيعتبر المجتمع مجرد معبر للتقدم نحو الغايات المتعالية التي لا صلة لها بالضرورة بآماله الخاصة وغاياته الأصلية، فهو ساحة للاختبار وتعبئة الموارد، من دون أن يؤول إليه ما يستنفد منه.

وهذا ما ينعكس على فهم الحرية في كلا الجانبين، بين التعويل على سعة هامش الحرية في المدخل الأول وبين السعي إلى تقييدها والحد منها في المدخل الآخر.

وكما هو معروف اعتمدت المقاومة في لبنان المدخل الأول، بتبنِّيها منطقاً اجتماعياً واضحاً، فكان مسارها التحريري هو نفسه الطريق الذي مرت عليه جهود الإصلاح الاجتماعي والسياسي في مواجهة التّهميش والحرمان والتفاوت.

## الحرية والمجتمع المقاوم بين التكيف والتكييف:

لا يقتصر تعريف المجتمع المقاوم إذاً على نصرة المقاومة، والالتزام بمشروعها، ومدّها بالدعم اللازم حين الحاجة، فهو كما سبقت الإشارة المجتمع الذي يقوم بأمرين متزامنين: التكيّف الاجتماعي - السياسي- الثقافي - مع متطلبات المقاومة، وتكييف النتائج لتصبّ في قنوات الإصلاح والتنمية والنهضة.

بيد أن التكيّف والتكييف مشروطان بوجود حيوية اجتماعية، تتطلب بدورها وجود قدر كاف من الحريات.

## لكن أي حرية نعني؟

إنها ليست فحسب الحريات السياسية، المحددة في لبنان على نحو مفارق: تعزيز حرية الجماعة في مقابل السلطة والانتقاص من حرية الفرد في وجه الجماعة. هي إذاً ثمرة اختلال التوازن ما بين المجتمعين السياسي والأهلي بفعل قوة الطوائف، وهذه لم تدع مساحة وافرة لممارسة سياسة حرة فعلاً، بل حولتها إلى وسيلة تعبير سافر عن عصبيات كامنة.

من هنا أهمية تبني مفهوم الحرية الأشمل الذي يتناسب مع التكيف والتكييف المشار إليهما، ومع الحضور المتداخل للفرد والجماعة في مجتمع المقاومة. وهذا المعنى للحرية يقترب من التعريف الجوهري لها الذي قدمت المقاومة اللبنانية مثالاً متقدماً عنه، والذي يستبطن مضامينها الفلسفية والاجتماعية والوجدانية، لتكون محرّكاً تاريخياً بامتياز، وتحريراً للضمير الإنساني أو ما يسمّيه سارتر بـ «ما فوق الأنا»، وممارسة مرتبطة بمغامرة الكينونة والوجود، والفكرة النواة التي يبني عليها الاجتماع الإنساني مفهوم الدولة السلطة (روسو)، وركناً من أركان التنظيم الاجتماعي الحديث.

## ينبغي إذا العناية بالمضامين المتعددة للحرية:

الحرية في مواجهة السلطة السياسية، وهو الفهم الذي تكرّس منذ حملة بونابرت على مصر وقت اكتشف العرب

والمسلمون نظاماً سياسياً يقوم على الحرية، لكنهم للأسف لم يكترثوا بجذوره المعرفية والتاريخية.

والحرية كحق فردي وفعل وجود في مواجهة سلطة النموذج المهيمن، الذي تقوم بحراسته قوى اجتماعية وأهلية مستترة ومعلنة..

والحرية كممارسة جماعية تتعلق بتأكيد الانتماء، وكوسيلة فعالة لتشديد الصراع ضد الهيمنة والتبعية من أجل بناء دفاعات حضارية فعّالة (شايغان)، سواء كان ذلك على قاعدة التفاعل وهو ما نميل إليه، أم على أساس التنابذ والمفاصلة. هناك فهم مضاد للحرية وهو الحق في الارتماء في أحضان الحضارة الغربية إلى حد الذوبان والاحتواء الكامل.

ثم إن تحديد مضمون الحرية التي نقصد يستوجب تحديداً مقابلاً للذات الحرة، أو لموضوع الحرية، هل هي الفرد أم الجماعة؟ الشبكات والتنظيمات المنبثقة عن حركتي الإنتاج والسلطة أم الأطر المدنية والإنسانية المرتبطة بفكرة الصالح العام؟ المجتمع المؤطر قرابياً أم المعاد تشكيله على أساس علاقات معقدة أكثر؟

ما تقدم، يسمح بالقول: إن الممارسة الحرة التي قام بها المجتمع اللبناني حتى غدا مجتمعاً مقاوماً، كانت في الإطار التالي:

- الحرية في مقابل السلطة السياسية، الملاحظ هنا أن

المقاومة استطاعت حراسة مجال الحرية المرتبط بها في وقت أدت فيها أحوال البلد وأزماته إلى تدهور في المجالات الأخرى.

- الحرية في مقابل النموذج السياسي والاجتماعي والمعرفي، على أكثر من صعيد:

❖ في مواجهة التأويل الديني التقليدي بينما حملت المقاومة الإسلامية في لبنان رؤية الإمام الخميني الإصلاحية، التي تبنّت فهماً مختلفاً لدور الفرد والمجتمع في مواجهة الطغيان والاستبداد والقهر، واستنهضت قيماً دينية عليا بعد أن أخرجت الفقه من حدود الحاجات الخاصة المتفرقة إلى رحاب الغايات المشتركة العامة، كما تبنّت المقاومة رؤية الإمام الصدر في أن رد العدوان الإسرائيلي لا ينفصل عن السعي إلى إضعاف سيطرة نمط الاستئثار التقليدي.

❖ وفي عدم الركون إلى مسلّمات الصراع مع إسرائيل، ومن بينها أن قوة لبنان في ضعفه ما استدعى أشكالاً مختلفة ومعروفة من التدخلات الأجنبية.

❖ وفي كسر احتكار الطوائف للحق بتحديد الأهداف الوطنية، وهنا قدّمت المقاومة قراءة مختلفة لعلاقة الدين بالسياسة، ممّهدة الطريق أمام تقدم الدين الإصلاحي التنويري المستلهم من القيم الدينية العليا والمشتركة على حساب الدين العصبوي، القائم على التمييز وعلى إدامة تنابذ الهويات الصغرى. وقد نجحت المقاومة في تحقيق خرق واسع لرتابة الأيديولوجيا اللبنانية المبنية على الشراكة التنافسية بين المجموعات اللبنانية،

وعلى تصور أقلوي لموقع لبنان وهويته ومبرر وجوده.

تسبب دخول المقاومة إلى المسرح الوطني -مستفيدة من المنحى الإيجابي والموسع للحرية-، بإعادة النظر بنظم علاقات راكدة، محدثة اهتزازات أثّرت على كثير مما كان يظن أنه من ثوابت ومسلّمات الصيغة اللبنانية، فكانت النتيجة نشوء مجتمع المقاومة من رحم المذاهب والطوائف والفرق، على الرغم من التحديات الداخلية والخارجية، ومتغيرات النظام الدولي، ومع أنها كانت في البداية مبادرة طليعية الطابع قامت بها ثلة من لون عقائدي خاص، فقد تحولت مع مرور الوقت إلى مهمة عامة نهض مجتمع بأكمله لتوليها، وما فتئت تتسع بفعل تحطيم القيود حتى كرّست الانتصار، وغدت مظلة ورافعة لقوى التغيير والإصلاح.

إن التفعيل التام لإنجازات المقاومة، وتكثيف حضور نتائجها في مشروع اجتماعي سياسي متكامل، يتطلب تعزيزاً للحريات بمفهومها الموسّع، غير أن تحقيق هذا المشروع لا يقع على عاتق المقاومة حصراً، بل يجب أن تتولاه قوى اجتماعية وأهلية قادرة على إحكام الصلة بين الإنجازات الوطنية التي تحققت والتوجهات الداخلية التي ينبغي أن تبنى على أساسها.

## الرؤية الصدرية للمقاومة والحرية:

أطلق الإمام الصدر دعوة مبكرة إلى دمج قضية المقاومة بالمسألة الوطنية اللبنانية مضافاً إلى بعدها القومي والإسلامي

العريض، فقد ركز على أولوية الدفاع عن لبنان في وجه الأطماع الإسرائيلية؛ واضعاً ذلك في خانة تطوير مفهوم الوطنية اللبنانية وفي سياق الإصلاح الاجتماعي والسياسي. لقد كان الإمام الصدر رائداً حقيقياً وصاحب دعوة لقيت صدى في أسماع أجيال عايشت ظروفاً مختلفة، فلقد اهتز لبنان ثلاثة عقود على وقع تطورات حافلة، بعضها إيجابي كالثورة الإسلامية في إيران والنهضة الإسلامية الرشيدة التي عمّت العالم بعدها، وبعضها سلبي كالحرب الأهلية وغزو العراق وانفجار السلفية الدموية.

كان الإمام الصدر صاحب رؤية متجاوزة سعى بنفسه إلى خلق ظروف تحقيقها، وبدا تواقاً إلى كسر رتابة وتقليدية ما قيل أنه النموذج اللبناني، فقدم مزيجه الفريد والخلاق المتمرد على مألوف الحياة السياسية اللبنانية آنذاك. كما يظهر في التالي:

- تحديد واسع للخطر الإسرائيلي والمعركة معها، فهي معركة متعددة الوجوه طويلة الأمد تتطلب استعدادات متنوعة «دفاعياً وإعلامياً واقتصادياً واجتماعياً».

- المزج بين النظرة إلى لبنان والنظرة إلى طبيعة الصراع مع إسرائيل. فلبنان هو هدف أساسي للصهيونية العالمية كونه «دولة متنوعة العناصر» تتناقض مع «الطابع العنصري للكيان الصهيوني». ويتضح معنى هذا التناقض في اعتبار الصدر لبنان «ضرورة حضارية لخلق الحوار بين أعضاء الجسد الإنساني الكبير، وهو أيضاً ضرورة دينية ترفع عن الأديان تهمة التعصب

وضرورة ثقافية..».

وفي ثنايا هذا الفهم للمقاومة والعداء لـ إسرائيل، هناك اهتمام بتكريس التوازن التاريخي، متعدد الجوانب في الصراع مع العدو، اقتصادياً وثقافياً وحضارياً واجتماعياً ونفسياً، وتأكيد على أن فعالية هذا الصراع تكون بالعناية بأبعاده المتعددة.

- اعتماد منظور اجتماعي للصراع، فمن ناحية دعوة للإصلاح الداخلي ورفع الحرمان لجعل الصمود والدفاع ممكنين، فبناء الصمود الجنوبي هو السبيل الوحيد «لخلق السد الأول في وجه العدو» وهذا ما يكون عبر «منح مناطق المواجهة الأولوية التي تستحقها».

ومن ناحية أخرى، إن «تكوين نواة مقاومة لليوم العصيب» هو ركن أساسي في إصلاح النظام وإعادة التوازن إليه، وجعل التنمية أمراً ممكناً ومطلوباً.

- وضع مبادئ أولية لمقاومة لبنانية مستمرة ولو بأشكال مختلفة؛ وذلك على نحو يتعدى التحقيب الاستراتيجي والسياسي للبنان والمنطقة. فالاختلال الحاد والمزمن في موازين القوى معطوفاً على ترهل الأنظمة العربية، وتحولها إلى عقبة أمام التقدم، يستدعي فتح آفاق غير تقليدية للمواجهة واستعادة التوازن، منها مثلاً تسليح الجنوبيين، والعمل على أن يكون التغيير الشامل آلية لتأكيد التمايز الجوهري بين لبنان ودولة العدو واستعادة التوازن التاريخي.

باختصار، سعى الإمام الصدر للتوفيق بين ثلاثة أمور: التوازن الدائم في ظروف داخلية وخارجية استثنائية، التكامل بين المقاومة وتطوير النظام السياسي الاجتماعي، والربط بين غنى الهوية اللبنانية والحرية.

في النقطة الأخيرة يرفض الإمام الصدر تعريفين للحرية ليتبنّى ثالثاً، ما يرفضه الحرية الممنوحة حصراً للجماعة بما يحيل الفرد إلى ذرة في نسيجها، والحرية المضادة التي تعلي شأن الفرد على حساب الجماعة، ليقدم فهماً للحرية التي يمكن توظيفا في سبيل إيجاد مجتمع متوازن، لا فردي عاجز عن إنجاز مهام وطنية، ولا جماعي متسلط يجعل النجاح بعيد المدى أمراً متعذراً. الحريّة بحسب الصدر أفضل طريق لاستثمار طاقة الإنسان وحمايته من طغيان القوة، ومن انتهاك كرامته، فيما يعد سلب الحرية كفراً بالفطرة الإنسانية.

إن هذا التعريف يلتقي تماماً مع ما استهلّت به هذه المقاربة، من أن الحرية التي بنت المجتمع هي التي كفلت للفرد على التصرف في وجه طغيان السلطات والنماذج، ومنحت الجماعة فعالية أن تحول ذلك إلى مبادرة متسعة ومتنامية باستمرار.

# الإنسان في فكر الإمام موسى الصدر

## الأب جورج مسوح*

يعتبر الإمام السيّد موسى الصدر من كبارالأئمة المجدِّدين الذين انخرطوا في العمل من أجل الإنسان وخيره، ومن أجل إعمار الأرض. ولم يكتف الإمام الصدر بالتنظيرات ولا بالكلام المجرّد، بل نزل إلى الأرض، أرض الواقع، وخاض في مشاكل الناس، وسعى إلى ترجمة الرسالة الدينية إلى الحياة. لذلك نراه يجاهد من أجل الفقراء والمحرومين وكل المستضعفين في الأرض، لهذا دعا إلى إحقاق الحق، ونادى بإعادة الكرامة إلى الإنسان، أشرف مخلوقات الله.

هذا لم يمنع الإمام من أن يمدّ الفكر الإسلامي بالكثير من الاجتهادات الكلامية والفقهية. وقد كان من أوائل الذين ساهموا في إطلاق الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان. فكان مع رفاقه، المطران جورج خضر والأب يواكيم مبارك والشيخ صبحي الصالح، وحسن صعب والأب فرنسوا دوبره لاتور ويوسف أبو جلة ونصر سلمان، أوّل من وقعوا بياناً في الثامن من تموز ١٩٦٥، وذلك في إطار المحاضرات التي نظمتها «الندوة اللبنانية» عن «المسيحية والإسلام في لبنان»؛ هذا البيان شكّل نقطة البداية الفعلية للحوار الإسلامي المسيحي لما تضمّنه من

* مدير مركز الدراسات المسيحية الإسلامية في جامعة البلمند.

تأكيد على الثوابت المشتركة في المسيحية والإسلام.

يؤكد موقعوا البيان «تلاقي الديانات في إيمانها بالله الواحد وبقيامهما معاً على تعزيز قيم روحية ومبادئ خُلقية مشتركة تصون كرامة الإنسان، وتعلن حقه في الحياة الفضلى، وتنهض بالأرض وما عليها في محبة وسلام ووئام». كذلك أعلنوا «أنهم لعلى يقين بأن لبنان هو الموطن المختار لمثل هذا الحوار المسيحي الإسلامي، وبأنه حين يجدّد وعيه بتعليم هاتين الرسالتين يسهم في تجديد طاقة الإنسان الروحية وصونها». وعاهدوا الله على «تحقيق لقاء أخوي مثمر ينهلون خلاله من معين الديانتين العالميتين، وتعمل فيه كل فئة بتعاليم دينها جاهدةً في تفهمها لما انطوت عليه الديانة الأخرى من عبر وعظات، ونظم تقرّب الإنسان من أخيه الإنسان، وعلى توسيع نطاق هذا اللقاء حتى يضم العناصر التي تبدي استعدادها للإسهام في تركيزه وتعميمه، وعلى السعي الدائب لإزالة الحواجز التي نصّتها عوامل مفتعلة يبرأ منها دين الله الحق».

**نستشف من هذا البيان خلاصات عدة، أبرزها:**

١- الإيمان المشترك المسيحي الإسلامي بالله الواحد، ولو تعددت التعبيرات عن الله، فالله واحد، لا يحده تعبير واحد.

٢- الدين واحد ولو تعددت الديانات. فالبيان بعد أن يتحدث عن ديانتين عالميتين تحملان رسالتين يصل في خاتمته إلى القول بـ: «دين الله الحق».

٥- إن الديانتين المسيحية والإسلامية جُعلتا لخدمة الإنسان

وصون كرامته، وحقه في الحياة الفضلى والسلام والمحبة والوئام، وجُعلتا أيضاً لإعمار الأرض والنّهوض بها.

٨- تدعو الديانتان إلى قيم روحية ومبادئ خلقية مشتركة، وتدعو إلى التقارب بين المسلمين والمسيحيين، والاستفادة المتبادلة من العبر والعظات والنظم التي تنطوي عليها كل من الديانتين.

هذه الثوابت الأربعة تشكِّل جوهر رسالة الإمام موسى الصدر. وهو لم يتوان يوماً في خطبه وتصريحاته ومحاضراته من الاستمرار في التأكد وإعادة التأكيد عليها. فها هو في كنيسة الكبوشيين قبيل اندلاع الحرب الأهلية في لبنان يعلن أن «الأديان كانت واحدة؛ لأن المبدأ الذي هو الله واحد. والهدف الذي هو الإنسان واحد، وعندما نسينا الهدف وابتعدنا عن خدمة الإنسان، نَبَذنا الله وابتعد عنا، فأصبحنا فِرقاً وطرائق قِددا، وألقى بأسنا بيننا فاختلفنا ووزعنا الكون الواحد، وخدمنا المصالح الخاصة. وعبدنا آلهة من دون الله، وسحقنا الإنسان فتمزّق».

بالنسبة إلى الإمام الصدر، اللقاء لخدمة الإنسان يؤدي إلى اللقاء في الله، ففي المحاضرة عينها، يدعو إلى العودة إلى الطريق السوية متوجهاً إلى المسلمين والمسيحيين بالكلام: «اجتمعنا من أجل الإنسان الذي كانت من أجله الأديان، وكانت واحدة آنذاك (...) نلتقي لخدمة الإنسان المستضعف المسحوق والممزّق لكي نلتقي في كل شيء، ولكي نلتقي في الله فتكون الأديان واحدة». وبالنسبة إليه أيضاً «كانت الأديان واحدة حيث كانت

في خدمة الهدف الواحد. دعوة إلى الله وخدمةً للإنسان، وهما وجهان لحقيقة واحدة».

هذا يعني أن الإيمان بالله لا يكون حقيقياً إلا إذا سبقه الإيمان بأن الدين جُعل لخدمة الإنسان، لا الإنسان لخدمة الدين، وبأن الدين الذي لا يرفع من شأن الإنسان وكرامته ليس ديناً إلهياً، والله بريء منه إلى يوم الدين.

يتابع الإمام الصدر في المحاضرة ذاتها التأسيس لقاسم مشترك بين الإسلام والمسيحية، وهو الإنسان «هذا المخلوق الذي خُلق على صورة خالقه في الصفات، خليفة الله في الأرض.

الإنسان هذا، هدفُ الوجود، وبداية المجتمع، والغاية منه، والمحرّم للتاريخ». يستهل الإمام هنا تعبيرين لاهوتيين، الأول مسيحي والثاني إسلامي. الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله، قمة الخلق في الرواية الكتابية [1]، والإنسان خليفة الله في الأرض **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾**[2]. الذي سخّر له الله الأرض والسموات وجميع المخلوقات.

ويقول الإمام في شرحه معنى الخليفة: «ومفهوم الخليفة، يوضح تمام الوضوح، استقلال البشر وحريته في التصرف على الأرض، أما السبل المرسومة له والخطوط المكتوبة عليه، فهي النصائح التي قررها الله لخليفته الإنسان».

---

[1] – سفر التكوين، ١، ٢٦.

[2] – سورة البقرة، الآية ٣٠.

## مفهوم الصورة والمثال في المسيحية:

وفي شرحه لمعنى الإنسان الذروة في الخلق يقول: «الإنسان صُنع على يد الله، وفيه روح الله». ويتابع الإمام معلّقاً: «فخُلق الإنسان من جنس الأرض على يد الله، والنفخ فيه من روح الله، صورةٌ واضحة عن الجوانب الوجودية الشاملة في الإنسان، والتي تمتد من الأرض إلى السماء، وهذا التعبير قوي أيضاً للكرامة التي يتمتع بها الإنسان. وقد اعتبر الله الإنسان ذروة في الخلق، وقمة في الصنع».

وفي العودة إلى حرية الإنسان يقول الإمام: «جعل الله للإنسان بين الموجودات كلها، ميزة كبيرة تمكّنه أن يتخلّق بأخلاق الله، ولهذا خلقه حراً يتمكن من العلم والمعرفة، فيحاول الإسلام في مواضيع عديدة في الكتاب والسنة التنبيه على هذه النقاط ليرفع معنويات الإنسان ويشعره بمقامه المكرم، وبتفضيله على الكثير من الخلق.

**﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾**[٣].

ويشدد الإمام على أن التعاليم الإسلامية تؤكد أن الله قريب جداً للإنسان. وهو أقرب إليه من أي شيء، فعلى الإنسان أن يشعر بهذا القرب ويُقبل على الله لكي يجد قوته واعتزازه. ويستشهد هنا بالحديث الشريف «قلب المؤمن عرش الرحمن».

ويضيف الإمام قائلاً: «إن القرب لله سهل الاكتساب منه

---

[٣] – سورة الإسراء، الآية ٧٠.

والتخلّق بأخلاقه».

كما يشير الإمام إلى موضوع الأمانة التي عجز الكون كله عن حملها، فتمكن الإنسان منها **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾**[٤].

ويضيف الإمام قائلاً: «مهما كان تفسير الأمانة، ديناً أو معرفة أو ولاية أو شرف مسؤولية. مهما كان ذلك، فاختصاص حملها بالإنسان تكريم له وإشادة بمقامه العظيم».

وبالنسبة له، إن الأمانة «أمر اختياري» فالإنسان هو الذي يؤدي واجباته بملء إرادته، بينما الشمس والقمر وسائر أجزاء الكون يؤدون واجباتهم لا بطوع إرادتهم، بل من دون إرادة. مسيّرين ومسخّرين نحو أداء الواجب، الإنسان هو المخيّر الوحيد، ولهذا عُبِّر عنه بأداء الأمانة.

ويشير الإمام الصدر إلى التعددية الدينية، كونها مقبولة من عند الله، مجالاً للتنافس بين الناس من أجل استباق الخيرات. فيقول: «طلب الرسل من الناس أن يتعارفوا وأن يستبقوا الخيرات وأن يكونوا كما أراد لهم ربهم (...) والحقيقة أن التفاوت في الرأي وفي الأديان من أهم أسباب الحركة الفكرية وعدم الجمود ومن مستلزمات ظهور المواهب الذاتية». تعدد الأديان، عند الإمام الصدر هو مجال مباراة إلى «استباق الخيرات» وهذا قول قرآني،

---

[٤] - سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

وهو كذلك مجال للتعارف، وهذا قول قرآني أيضاً. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٥]. ويعبر الإمام عن الاختلاف بين الأديان كما عبر النبي محمد عن الاختلاف بين أبناء الدين الواحد حين قال في الحديث الشريف: «إختلاف أمتي رحمة».

يبدأ الإمام ثائراً على الفكر الديني الجامد، فيدعو إلى إعادة الدور الأساسي الذي خُلق من أجله الإنسان؛ أي استباق الخيرات من أجل إعمار الأرض والعمل من أجل خير الإنسان إلى أي دين أو قوم انتمى. وتبقى نظرة الإمام إلى الأديان كافة قابلة للتحقيق، ذلك أن الأديان وُجدت لخدمة الإنسان وكرامته. لهذا ينبغي العمل معاً من أجل إعادة الأديان إلى الهدف الذي من أجله جُعلت؛ أي الإنسان.

---

[٥] – سورة الحجرات، الآية ١٣.

# مبادئ الحضارة في فكر الإمام موسى الصدر

د. محمد علي مهتدي*

نعتمد في هذا المبحث على مجموعة محاضرات ألقاها سماحة الإمام في ندوات فكرية ومدارس مختلفة خصوصاً محاضرة بعنوان: «صور من حضارتنا» ألقاها في ثانوية المقاصد للبنات في مدينة صيدا بتاريخ ١٩٦٧/١٢/١٧، ونُشرت في جريدة الحياة البيروتية بتاريخ ١٩٦٧/١٢/٩، ومحاضرات أسبوعية كان يلقيها على مجموعات من الكوادر والمثقفين كلها منشورة في مجلدات مسيرة الإمام موسى الصدر.

وقبل أن نبدأ بالبحث حول موضوعنا لا بد من الإشارة إلى نقطة هامة وهي أن سماحة الإمام موسى الصدر في المرحلة التي تلي وصوله إلى لبنان بدأ برسم الإطار الفكري والنظري لعمله الديني والاجتماعي والسياسي من خلال مشاركة فعالة في الندوات الفكرية خصوصاً في مدن صور وصيدا وبيروت، لذلك في مراجعتنا للقضايا الفكرية لحركة الإمام الصدر، نجد أن جميع المصادر تقريباً تعود إلى النصف الثاني من الستينات في القرن المنصرم.

إذاً دراسة هذه النصوص ليست ضرورية فقط للوقوف على زوايا فكرية للإمام كمفكّر إسلاميّ كبير، بل أيضاً لفهم

* باحث ايراني.

طبيعة مسيرته العملية والأهداف التي يتوخاها من خلال هذه المسيرة فهماً دقيقاً، ومن ثم تكوين منهجية خاصة لتفسير محطات مختلفة لنضاله الاجتماعي بعيداً عن المهاترات والأخطاء الناتجة عن فقدان هذه المنهجية.

وأعتقد أن هذا الجانب في حركة الإمام ظل مغفولاً عنه طيلة عشرات السنين، اللهم إلا إذا استثنينا سلسلة مؤتمرات «كلمة سواء» التي تشكّل بحق جهداً مشكوراً لفض الغبار عن جوانب مهمة جداً في فكر الإمام الصدر.

## أولا: المفاهيم:

الحضارة كلمة أخذت من الحضر مقابل السفر، الحضر يعني الاستقرار مقابل السفر بمعنى التنقل، فمعنى الحضارة؛ أي الحياة التي يختارها الإنسان المستقر، تقابل حياة البادية، أو حياة الترحل. ومع الملاحظة أن الإنسان موجود مدنيّ يعيش في مجتمعات ومع إخوانه، يتطور المعنى فيكون معنى الحضارة حياة المجتمعات الإنسانية المستقرة، دون الكتل البشرية المتنقلة أو البدائية.

وهناك مفردتان يجب تحديدهما أيضاً: المدنية والثقافة، المدنية هي الوضع الخارجي الذي يعيشه الإنسان في المدن، أي تنظيم المدنية وعمرانها، الأبنية وشبكة المياه وأمثال ذلك، أما الثقافة فهي حياة الإنسان الروحية من العلوم والفنون والفلسفة والتشريع والأدب والفن وغير ذلك.

والحضارة تركيب من المفهومين وتختلف عنهما، يعني ما

يعيشه الإنسان في الحياة الفكرية الداخلية، حينما تنعكس على الفرد، وتؤثر في تكوين مدنيته نسميه حضارة.

وبناءً على هذا، يحدد سماحة الإمام مجالات مفهوم الحضارة كما يلي:

أولاً: صلات الإنسان الخلقية بأخيه الإنسان.

ثانياً: الصلات الحقوقية من الأحوال الشخصية ونظام العائلة والقوانين المدنية والقوانين الإدارية.

ثالثاً: العلوم.

رابعاً: الفنون.

(ولا نعني العلوم والفنون بالمطلق، بل العلوم والفنون التي تنعكس على حياتنا الاجتماعية).

خامساً: التربية المدنية.

سادساً: محاولات البشر لإيجاد السلام والاستقرار.

سابعاً: وأخيراً: التجمعات الخاصة الداخلة في التجمع العام، كالعائلة والقرية والمدينة والدولة والأحزاب والجمعيات والمؤسسات والنقابات والأنظمة التي تنظم هذه الشؤون.

وللإمام الصدر حول كل من هذه العناوين، دراسات مفصّلة لن نتعرض لها تجنباً للتطويل ونظراً لضيق الوقت.

الحضارة الدينية والحضارة المادية:

لا شك أن الحضارة في نشأتها وتطورها بحاجة إلى دينامية وقوة دفع، وهذه القوى تتبع دائماً النظرة الكونية للإنسان الذي هو محور الحضارة وبما أن نشوء الدين أو التدين... كقدم للإنسان على الأرض، فيمكن القول بأن الدين لعب الدور الأهم في نشوء الحضارة، فالحضارة الدينية هي مبنية على منظومة فكرية كاملة ومتكاملة، تعتمد في أصولها وفروعها في جميع حقولها على دين الله الواحد، الذي دعا إليه رسل الله في شرائعهم.

على هذا الأساس يرفض الإمام الصدر وصف الحضارة الغربية بالمسيحية؛ لأن دين الله واحد خصوصاً بالنسبة للأديان التوحيدية أو الإبراهيمية، فكلها نشأت وانبثقت في هذه المنطقة من الشرق ودعت الإنسان إلى السير في الصراط المستقيم للوصول إلى الله وإلى السعادة في هذه الحياة الدنيوية وفي الحياة الأخروية، والإنسان هو غاية الدين، الإنسان الذي خُلق ليكون خليفة الله في أرضه، وخُلق له ما في الأرض جميعاً، ويتمكن من قهر القوى الكونية واستخدامها عن طريق العلم والسلوك في الخطوط العريضة المرسومة له، مخيّراً لا مسيّراً.

كذلك، موضوع هذه الحضارة المنبثقة من قوة الدين هو الإنسان وغايتها أيضاً الإنسان، الإنسان بجميع جوانبه الروحية والجسمية ولا نقصد الإنسان كفرد، بل كمجتمع أيضاً؛ يعني الإنسان بجميع صلاته وارتباطاته بالله وبالإنسان الآخر

وبالكون، والإنسان هذا في جميع أفعاله الفردية والعائلية والفكرية والاقتصادية والسياسية يلتقي مع الله، يراقب جانب الله فيرى الله معه، في ذاته وفي قلبه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[1]، ويرى محراباً كبيراً للسجود والتسبيح ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

إذاً، كما أن دين الله واحد كذلك الحضارة الدينية حضارة واحدة شارك فيه المؤمنون من جميع الأديان السماوية، وإذا نظرنا إلى ما نسميه بالحضارة الإسلامية نرى بأن كثيرين من المتدينين بالإسلام والمسيحية، وحتى الصابئة من مختلف الأمم كان لهم دور كبير في الارتقاء بهذه الحضارة إلى ذروتها في مختلف المجالات.

بناءً على ذلك؛ فإن الحضارة المقابلة للحضارة الإسلامية ليست الحضارة المسيحية، والإمام موسى الصدر يرفض وصف الحضارة الغربية بالمسيحية، بل يعتبرها حضارة مادية بشقيها الغربي والشرقي؛ أي الشيوعي والرأسمالي. وهذه الحضارة مبنية إما على إنكار ذات الله أو التنكر له، أو تجاهله والتأكيد على محورية الإنسان في الكون، وعلى عدم تأثير ما وراء الطبيعة في حياة البشر، ويشهد التاريخ بوضوح بأن نمو الحضارة القائمة المعاصرة وانطلاقها، بدأ بتنكر المؤسسين والبناة للدين وللمسيحية بالذات، وحاربوها شر محاربة، فالمسيحية وكذلك

---

[1] – سورة الحديد، الآية ٤.

[2] – سورة الحج، الآية ١٨.

الإسلام بريئان من هذه الحضارة الوحشية التي لا تبتغي غير اللذة والرفاهية، وجمع المال، والإمكانيات المادية، وتضرب كل القيم الإنسانية والخلقية والدينية عرض الحائط، من أجل الوصول إلى الأهداف المادية الصّرفة.

هكذا نرى أن تاريخ هذه الحضارة الجديدة يتلخّص في السعي الدائم العملي والفكري لجمع المال، والاستثمار وفتح أسواق، واستعباد البشر، من خلال الاستعمار والحروب القومية والإقليمية، وسباق التسلح وفرض الإرادة، وإراقة الدماء وتدمير البلاد والعباد.

ومن البديهي أن هذه الحضارة لا يمكن لها أن تخلق حالة الشعور بالسعادة لدى الإنسان سواء كفرد أو كمجتمعات وشعوب، فالكل يعيش حالة القلق والحذر وعدم الاطمئنان والخوف من المستقبل وعلى المستقبل، فيموت عشرات الألوف من الجوع والقحط أو ظروف الحروب المصطنعة والعالم يتفرج ولا من يحزنون.

## أسباب الانحطاط:

لا يوافق الإمام الصدر على تسمية نتائج هذه الحضارة بالتقدم، نعم، هناك تقدم في الاكتشافات والاختراعات وإيجاد وسائل الراحة المادية لقسم من البشر، ولكن القسم الآخر وهم الأكثرية يعيشون حالة القلق والخوف وانعدام الأمن؛ نتيجة سيطرة الظلم والعدوان على العلاقات الإنسانية.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه منذ أمد بعيد هو: لماذا تأخر

المسلمون؟ وما هي أسباب الانحطاط في المجتمعات الشرقية ككل؟ ولدى الشعوب المسلمة بالتحديد؟

طبعاً، هذا السؤال ليس جديداً، بل هو مطروح في الأوساط الفكرية والعلمية منذ أكثر من قرن، ابتداءً من زيارة الشيخ رفاعة الطهطاوي لديار الإفرنج، ووصول الحداثة إلى مجتمعاتنا العربية الإسلامية خصوصاً عصر الاستعمار الأوروبي لمنطقتنا، كتبوا وألّفوا مئات من الكتب والمقالات، ونظموا ندوات ومؤتمرات لدرس أسباب الانحطاط؛ فمنهم من وضع اللّوم على الاستبداد وفقدان الحرية، مثل عبد الرحمن الكواكبي. ومنهم من اعتبر أن الاستعمار هو المسؤول، علماً أن كثيرين -ومنهم الإمام الصدر- يتساءلون عن الأسباب التي خلقت لدينا القابلية لأن نُستعمر. وكثيرون من الإسلاميين تحدثوا عن ابتعادنا عن التعاليم الدينية كسبب أساسي للتأخر والانحطاط.

أما الإمام الصدر، فيعتقد أن انهيار المجتمع الإسلامي الإنسان بعد الخلافة الراشدة هو السبب الرئيسي للانحطاط، يؤكد الإمام أن الحضارة الإسلامية كانت حضارة إنسانية، والإسلام ككل مدرسة فكرية، يعتمد من الدرجة الأولى على تربية الإنسان، ولا يمكن تربية الإنسان وصيانة إنسانيته إلا عندما يتوفر للإنسان مجتمع إنساني، وجو صالح لممارسة هذه الصّيانة.

هذا الجو كان موجوداً في مدينة النبي أيام حياة الرسول الأعظم ﷺ، وأيام الخلفاء الراشدين ولكن بعد قيام الدولة

الأموية سُلب هذا الجو، وهذا المجتمع من الإنسان المسلم، فأصبحت الخلافة ملكاً، وأموال الأمة أموالاً للملك، والوظيفة الدفاعية أصبحت وسيلة للارتزاق، واحتجب الملك عن الرعية، وتعطّل العدل وتطبيق القانون، وبدأ الظلم والاستبداد والتملق والمحسوبية تتفشى في المجتمع الإسلامي، وبقوة الاستمرار بقيت المكاسب الجزئية وذهبت المكاسب الأكثر أهمية والأكثر عمقاً، وانتهى هذا الوضع إلى الانهيار الكلي وما تبقى من الإسلام إنما كان في بعض المكاسب الفردية من عقائد وعبادات ليس إلا.

والجدير بالذكر أن هذه النتيجة هي خلاصة نقاشات ومحاضرات تفصيلية ودقيقة جداً للإمام موسى الصدر، والمجال هنا لا يسع للدخول فيها؛ فلذلك -وبإيجاز شديد- اكتفينا بالتأكيد على هذه النتيجة بدون معالجة المقدّمات والأبحاث المطولة التي توصِلنا إلى هذه النتيجة.

## الإمام موسى الصدر ومالك بن نبي:

هنا أود أن أقوم بمقارنة بين فكر الإمام موسى الصدر وفكر المفكّر الإسلامي الكبير مالك بن نبي؛ حيث نرى أوجه تشابه فكرية بين الرجلين بالنسبة للحضارة الإسلامية، والواقع أن الإمام موسى الصدر كان يقدّر، ويحترم كثيراً العمل الفكري لمالك بن نبي، وغالباً ما كان في محاضراته حول موضوع الحضارة كان يشير إلى فكر ابن نبي ويؤيده في كثير من الجوانب الفكرية، وحسب ما علمت أن سماحة

الإمام بالإضافة إلى اطلاعه على كتابات المفكّر الجزائري الكبير، التقى به في إحدى زياراته للجزائر وكان فرصة اختلاء للرجلين الكبيرين.

النقطة الهامة أن كلا الرجلين يعتقد بأن بناء الحضارة بحاجة إلى محرّك روحي ومعنوي، وهذا المحرّك بالنسبة لحضارتنا توقفت عن العمل بعد الخلافة الراشدة وبالتحديد في واقعة التحكيم في الصفين.

في عام ٣٧ بعد الهجرة النبوية، حيث تحولت الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض في العهد الأموي، وكذلك في العهد العباسي، ولكن الحركة الحضارية استمرت تحت تأثير قوة الدفع الأولية، وانحسرت تدريجياً إلى أن توقفت نهائياً في أواخر العهد العباسي، حيث بدأ عصر الانحطاط.

## الإحياء والتجديد:

والسؤال هنا، كيف يمكن إحياء هذه الحضارة وإنهاء عصر الانحطاط؟ وما هي آليات العمل في هذا المضمار؟ نظرة مالك بن نبي نظرة تشاؤمية نوعاً ما فهو من جهة يرى أن المسلمين والمجتمعات الإسلامية استسلمت لنمط العيش الآتي من الحضارة المادية الغربية، وكل ما نرى في بيوتنا ومكاتبنا وشوارعنا إنما هو مأخوذ من الحضارة الغربية. ومن جهة أخرى لا يعتقد مالك بن نبي بأن الكتل البشرية المسلمة في هذه المنطقة، أعني المنطقة العربية بإمكانها القيام بأي شيء في هذا الصدد؛ لأن الطاقة الكامنة في داخلها قد استهلكت

وهو يشبّه هذه الكتل بكميات من الماء تجمّعت في الأعلى قبل أن تنزل إلى الطاحونة لتحريكها، وهذه المياه بعد خروجها من الطاحونة وجريانها على الأرض تفقد طاقتها المخزونة، ولا يمكن استخدامها في إيجاد أية حركة؛ لذلك - يعتقد ابن نبي - بأنه يمكن أن تأتي أية حركة تغيرية من الشعوب المسلمة في آسيا خصوصاً من ماليزيا وأندونيسيا، حيث الطاقة الروحية ما زالت موجودة، ولم تستخدم حتى الآن.

أما الإمام الصدر، فلا يفقد أبداً الأمل في الإنسان المسلم أو المتديّن - بشكل عام - في هذه المنطقة- وكما أشرنا، منذ أن بدأ جهده وجهاده في لبنان رسم لنفسه برنامجاً للعمل في سبيل التوعية وتربية الإنسان كفرد، وإيجاد ظروف مجتمعية ملائمة لصيانة هذا الإنسان من الانحراف، فهو كان يؤكد دائماً أن معالجة أي داء تبدأ بتحديد سبب الداء، والسبيل لإنهاء التخلف إنما هو في معرفة أسبابه، يقول الإمام الصدر في بعض محاضراته: أنا أؤمن بتربية الإنسان وبوجوب السعي التنظيمي لأجل تكوين المجتمع الإسلامي الإنساني، وأعتقد أن المساعي التنظيمية لها مرحلتان: مرحلة التثقيف والتوعية ومن ثم مرحلة ثانية تطبيقية، وحينما يسأله أحدهم عن السبيل إلى إعادة بناء المجد التاريخي يقول: الجواب عن هذا السؤال هو في الحقيقة العمل الذي نعمله.

واختيار الإمام الصدر لبنان كساحة عمله، لم يكن فقط لأن لبنان وطنه الأصلي، ولا بدافع مساعدة الطائفة الشيعية للخروج من دائرة الحرمان والتهمّش، ولكنه اختار لبنان؛ لأن هذا البلد العظيم بمذاهبه وطوائفه كان نموذجاً مصغّراً للعالم

الكبير، فهو المكان الأكثر مناسبة للالتقاء والتفاهم والتعاون والتعاطي الحضاري والثقافي، فكان يرى الطوائف في لبنان كنوافذ، وهذه نظرة عظيمة ودقيقة، وليس كلاماً جميلاً للاستهلاك، فكل كلمة تخرج من فم الإمام كانت كلمة جدية ومسؤولة.

وفي تفسيره للآية الكريمة في سورة الحجرات ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٣]، كلام مهم جداً حول معنى التعارف، إذ يقول رداً على سؤال هل التعارف يكفي أن يكون هدفاً؟ طيب تعارفنا، وبعدين شو؟ فيضيف قائلاً: إن التعارف إنما هو مقدمة للتعاون أي إعطاء العون للآخر إعطائه العون في جميع المجالات وهكذا بإمكاننا أن نبني حضارة عالمية مبنية على التعارف فالتفاهم والتعاون.

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نوجه التحية لهذا الرجل العظيم، تحية إكبار وإجلال خصوصاً ونحن سواء في لبنان أو في منطقتنا العربية والإسلامية نعيش أوضاعاً مأساوية ونشعر أكثر من أي وقت مضى كم نحن بحاجة إلى قادة ورجال فكر عظماء من أمثال سماحة الإمام موسى الصدر.

ففي الليلة الظلماء يُفتقد البدر

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

[٣] – سورة الحجرات، الآية ١٣.

# مداخلات وأسئلة

## د. محمد علي مهتدي

إنها لفرصة لي ان أكون في رحاب فكر سيادة المطران، بصفته من المؤسّسين الأوائل مع سماحة السيّد موسى الصدر، لديَّ سؤالان: أولاً: نسمع بعمل المرحوم الأب واكيم مبارك معكم في بداية عمل الإمام في صور، نحن لا نعرف شيئاً كثيراً عن الأب واكيم، فإذا أمكن إعطاؤنا نبذة عن عمل الدكتور واكيم وأهمية دوره في الحلقة التي ذكرتم؟

ثانياً: هل الحوار الإسلامي المسيحي حالياً مبني على ما أسّسَ هؤلاء الأوائل، هل الحوار ما زال مبنياً على ما بدأت به ورقة البيان في تلك الحلقة؟ .

## المطران جورج خضر

قبل أن أبدأ أريد أن أظهر إعجابي بأن ليس لديك لكنة أجنبية لقد أغضبني موت الأب واكيم مبارك اكثر مما أحزنني فكيف يترك انسان مثقف مثله نفسه دون أن يجري فحوصات طبية، لديه مرض في قلبه فهل يموت بمرضه دون

معالجته؟! رحمه الله.

كما تعلمون بعضكم، كان تلميذ المستشرق لويس ماسنيون الذي لم يكن يعرف أحداً هل هو مسيحيّ ام مسلم وهو الذي دفع بيواكيم الى دراسة الإسلام.

قلت له كيف يُعقل أن يكون مارونياً من شمال لبنان أستاذ الإسلاميات في (السوربون)؟ قال كان أبي خوري الشيعة يأخذني عند رفعت الحلاّب؛ وهو أعظم بائع حلوى في الشرق، وكنت صغيراً، وكنت أقرأ ما كتب على اللوحة المعلقة عنده ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا﴾[1] فكنت أسأل أبي عنها، وكان يقول لي أنها الآية من القرآن، وكنت أسأل عن القرآن ما هو؟ فيقول لي إنه كتاب المسلمين.

أُخِذ بالإمام كثيراً، شخصية مثله، شيخ مسلم منفتح، وليست لديه عصبيات اتجاه أحد، هذا ما جعل يواكيم مبارك يحبّ الإمام ويصادقه ويتكلّم عنه هنا وهناك في الغرب.

وقد كتب يواكيم رسالته في الدكتوراه عن إله إبراهيم وهو يعتبر أن المسيحيين والمسلمين واليهود هم أولاد إبراهيم، وأنّ الديانات الثلاثة هي دعوة إبراهيمية. أنا لا أوافقه على جميع ما يقول؛ لأنه هو ماروني وانا لست من مذهبه. وشكراً

## الأب جورج مسوح

حول السؤال: أين نحن من ورقة ١٩٦٥؟ نحن نستطيع القول

[1] سورة البقرة، الآية ٥٧.

بأنّنا على مستويين: الأول: مستوى الأكاديمي واللاهوتي؛ هناك تطوّر بأن نشأت مراكز إسلامية مسيحية، تأسّس في الجامعة اليسوعية أولاً ثم عندنا في جامعة البلمند، هناك تقصير إسلامي واضح في هذا المجال، ربما لأن المسلم مطمئن بأنّ هذا البلد بلده وربما لأنّ المسيحية تخاف على هوّيتها ووجودها في هذا البلد.

أما على الصعيد الوطني فهؤلاء الرجال الذين أصدروا هذا البيان، أعتقد، أنهم كانوا أحراراً من المؤسسة الدينية التي ينتمون إليها، وكان لديهم هامش مناورة وعمل وعفوية أكثر من حين تمأسس هذا الحوار على الصعيد الوطني، وصار حواراً بين الكتل الطائفية، ويُشرف عليه رئيس الطائفة، أعتقد على هذا الصعيد تقهقهر الحوار؛ لأنه ليس مفاوضات بين أطراف، بل بين أحبة يلتقون ويتناجون، أما عندما تحوّل إلى مؤسسات ولجنة وطنية للحوار الإسلامي المسيحي، وإلى ممثلين للطوائف فقدت هذه العفوية. وشكراً.

## د. علي نور الدين

أريد أن أذكر حادثة حول ما تفضّل به الأب جورج مسّوح حول السيد موسى الصدر، وإن تعدّدت الشرائع يبقى الدين واحداً كان أستاذي المشرف في الدكتوراه الدكتور المرحوم جبرائيل جبور في الجامعة اليسوعية، وكان قد نيف على التسعين، وكانت علاقتي به علاقة أب بابنه فكان يحدثني أحاديث كثيرة، مما قاله لي وذكره في كتابه (من أيام العمر)، حدّثني

وقال: كانت لدينا في إحدى المناسبات في دولتنا احتفالاً، وكان السيد موسى الصدر من المدعوّين إلى ذلك الاحتفال، ويبدو أنّ مدير الاحتفال قد تأخّر عن الموعد، فقال الدكتور جبور وقعت في حيرة وارتباك، فلاحظ ذلك الإمام موسى الصدر، فقال لي ما بك؟ فقلت له: رئيس الطائفة تأخّر وينبغي كما في عاداتنا أن يقرأ بعضاً من الإنجيل في الافتتاح، فقال لي: لا بأس، لا عليك. إن تأخّر أنا سأقرأ من الإنجيل في الكنيسة، عند هذا -كما يقول الدكتور جبور- كم تمنيت لو أنّ رئيس الطائفة لا يأتي أبداً ليرى الناس الإمام السيد موسى الصدر يقرأ الإنجيل في كنيسة الإنجيليين.

وهناك مسألة أخرى حول هذا الموضوع حصلت معي ومع الدكتور جبور، أنه كان بحوزته انجيلٌ من القرن الثاني أو الثالث الهجري على رأس كل فصل كان قد كتب (بسم الله الرحمن الرحيم)، هذه البسملة ليست لكلم فقط (الشرائع تتعدّد ولكنّ الله واحد) وشكراً.

بعد الشكر للمحاضرين الكرام، موضوع المقاومة عند الإمام الصدر، تكلّم عن المجتمع المحارب والمجتمع المقاوم، وعندما نحاول أن نُخرج ما نحن فيه من أوضاع غير طبيعي وغير سليم اجتماعياً نقول (الحرب) محاربة الفقر، محاربة المرض، وقد أراد الإمام الصدر أن يُخرج هذه العبارات وهذه المسائل من حدودها الضيقة لا يكون مرضاً مادياً يعطي وجعاً جسدياً فقط بل هو مرضاً لجسد الأمة بشكل عام.

عندما تحدّث عن الميوعة في إحدى المقابلات التلفزيونية، ومنها ما ورد عن كلمة المجتمع الجديد، وبنفس المقابلة وردت كلمة المجتمع المحارب، فالمقاومة يمكن ان تبدأ من وجع مادي صغير وبسيط إلى أن تتم إلى حالة ضغط كامل من الداخل ومن الخارج وهذه النقطة بدأها بصور أول جلسات بدأت كان يتحدث عن الآفات الاجتماعية، وعن تحطيم الأصنام ولم يذكر الأصنام بأشكالها المادية، وإنما ذكرها بالشهوات وبالمتطلبات الجسدية، كما تفضّل الدكتور مسّوح. ركّزتم جميعاً على أنه أن يجتمع أشخاص ليضعوا إطاراً للعمل العام في لبنان، في الوضع الزراعي وكانت تقدّم تقارير، وحتى الوضع العسكري قُدّمت فيه تقارير، البيان من النقاط العشرين التي وضعت أيضاً التي وقّع عليها مئة وتسع وتسعون مفكّر لبناني هذه المقاومة التي قمتم بها في تلك الجلسات، هذا الوضع المتدنّي، لو تمّت هذه المقاومة لما كنا وصلنا إلى ما نحن فيه. وشكراً

## الشيخ شفيق جرادي

إذا سمحتم لي، في الشوق لأتعرّف بعد هذه الشهادة التي تفضّلتم بها عن سماحة الإمام السيد موسى الصدر، أن أتعرف إلى أيضاً وبشهادة حيّة إلى ذاك المناخ في لحظته المؤسِّسة.

لن أتناول تقييماً من مستويات، لكن أقطع أن المناخ الذي تناولتموه في علاقتكم مع سماحة الإمام موسى الصدر، بالتالي ما أريد الاستفسار عنه: كيف يمكن للاّهوتيّين كما عبّرتم بالتحديد أن يكون لديهم تعاضد مع رجل دين من دين آخر

بما فيه استفاقة لطائفته ونحن في لبنان، ما هو المناخ الذي كنتم تعيشون آنذاك والذي نراه من بعيد كأنه لاهوت رجال مناضلين، والذين أنتج وئاماً في تفهمّ الآخر، وتعاضداً من أجل إخراج طائفة ولو بمعاونته في بيان؟ وشكراً.

## المطران جورج خضر

عاش لبنان فترات طيبة لم يكن فيها تشدّد طائفي قوي مثل هذه الأيام على هذه الحال، سنة ١٩٣٥ كان مجلس النواب مستعداً تماماً بأكثريته الساحقة أن ينتخب الشيخ محمد الجسر رئيساً لجمهورية لبنان، وهذا مخالف لدستور ١٩٢٦ مع تقديري للطائفة. وكان البطريرك الماروني انطون عريضة داعماً ومناصراً لانتخاب الشيخ محمد الجسر رئيساً لجمهورية لبنان، فجاء المفوّض السامي وحلّ المجلس، وعلّق الدستور.

من ناحية ثانية، كنت أنتمي إلى حركة شبابية نشأت سنة ١٩٤٢، وفي شرعتها آنذاك أنها ضدّ الطائفية.

والكنيسة ليس لها حدود، وليس صحيحاً أنها محدّدة بهؤلاء الذين يتلون دستور الإيمان عندنا، وهناك الكثيرون خصوصاً من اليهودية والإسلام الذين هم في الكنيسة، وهم شعب الله، وأحّباء الله بطريقة، أو بأخرى عُمِّدوا أولاً، لكنّهم موجودون آنذاك.

واسمحوا لي، موسى الصدر لم يكن يعني لي مذهبه مسلماً او مسيحياً، طالما ليس في كلامه وسلوكه عداءٌ لأي أحد، فأنا

وإياه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] إذاً، أنا وهو وميشال أسمر كنا نشعر أننا من أمة الله وغيرنا أيضاً.

## تمارى مروان

تفضل المطران بتفسير أن الدين واحد، وأن الهدف هو الإنسان مرّ في جوابكم أنّ الشباب الذين عايشوا السيد موسى الصدر كانوا ينظرون نظرة منفتحة لأجل خدمة الإنسان، لماذا غيرّوا؟ يفترض أن يزيد في الدين سماحةً ويتمسكون أكثر بدينهم.

❖ الدكتور: هم مؤمنون، ولكنهم لا يمثّلون المؤسسة الدينية.

❖ تمارى:

يفترض أنه كلما ارتبطت بالمؤسسة الدينية زدت إيماناً، إنّ الدين واحد، وخدمة الانسان هي الهدف. لماذا في لبنان عندما أنتمي إلى المؤسسة الدينية أعمل بطريقة فيها حواجز أكثر؟ هل المشكلة بالسياسة ام ماذا؟ فمن الطبيعي أننا نطمح حول أنه كلما ارتبط الإنسان بالمؤسسة الدينية يصبح فعالاً أكثر باتجاه وحدة الناس وشكراً.

## المطران جورج خضر

هناك عدد في لبنان من السياسيين المسيحيين لم يصوموا ولم يصلّوا، زارني دوبريه وهو كاتب كبير، وأنا أعرف أنه كافر بالله وهو أستاذ في معهد الدراسات الدينية في باريس

[1] سورة آل عمران، الآية ١١٠.

ومدهش، إنه يعلم كل شيء عن الأديان، لكن هذه المعرفة تبقى في العقل ولا تدخل القلب أيضاً.

أن يولد الإنسان على الفطرة ووالده إما يهوّدانه أو يمجسّانه أو ينصّرانه، وكنا نقيم حلقة ذكر، سلّمت عليهم بحرارة يقول لي أهلك أسلموا قلت له ايضاً أهلك أسلموا، هناك مسألة مسجّلة عندنا بالدستور بأن من تعّمد فهو مسيحيّي وأنّ من لم يكن معمّداً ثم أسلم؟ ليست هناك من مشكلة.

انا باحث وصحافي، لدي ملاحظات عديدة، لكن ما أريد قوله هو أنّ الإمام الصدر لديه كلمة حلوة وجميلة، بأنّ الشيعة ليسوا مذهباً، وإنما حركة تحرّر عبر التاريخ. كيف تصبح هذه الحركة حركة تحرّرية مستمرة عبر التاريخ؟ وهناك مسألة مهمة أن الإمام الصدر كان يتحرك حوالي مئة ألف كم تقريباً، كان يعطي محاضرة الليل في منطقة ثم يعود إلى منطقة ثانية ويعطي محاضرة في بلدة أخرى في ليلة ثانية، كان يفطر في بعض ليالي شهر رمضان في الساعة العاشرة ليلاً، وليس هناك من مشكلة عنده.

والإمام الصدر كشخصية استراتيجية مجدّدة لم يعتمد على الفكر والخطابات، وبادر إلى تجميع جماعة، وثم حزب ثم حركة المحرومين، إنّ الإمام الصدر كما كان مجدّد النهضة، فإنه مجدّد الحوار أيضاً.

شاء القدر أني شاهدت اعتكاف الإمام موسى الصدر في آخره ١٩٧٥ على صيامه، كان القصف العشوائي قد بدأ

والتقيت مع الأب حدّاد لنحدّث الإمام، كانت هذه الخطوة مسألة ضرورية الاستمرار للعالم وللمقاومين والمجاهدين في سبيل الحرية. السؤال موجه للمطران جورج خضر:

هل هذه الصورة صالحة (الصوم والاعتكاف) ضد جبروت الآلة العسكرية لهذا اليوم؟ وشكراً.

## المطران جورج خضر

اللجوء إلى الله غير الصوم والصلاة، أنشأ ذات مرة دعوة الى إضراب ضد المعامل الإنكليزية في كنشاسا حوالي ٢٢ او ٢٣ ك١ قبل عيد الميلاد يعمل إلى فك الإضراب، لأنه قال: نترك لهم المجال للفرح العائلي ثم نستأنف بالإضراب، كان صائماً لكنه كان يشرب الماء، هو يستطيع أن يحبّ، لكنهم يسألوني فيقولون لي هل أنت تحبّ الإسرائيليين، لكني أجيبهم: لا، أنا لا أحب الإسرائيليين بل أحبّ اليهود: لا علاقة لي بهم بل أنا ضد العنصرية.

## أحد الحاضرين

مشروع الإمام الصدر يُقدَّم اليوم كنموذج وبديل لحل المشكلة القائمة في لبنان وفي العالم، لبنان مريض ودواؤه هو مشروع الإمام موسى الصدر الموجود في كلماته وفي كافة المؤتمرات التي أنتجها مركز أبحاث الإمام موسى الصدر. الابتعاد عن الحل بدعوى أننا نريد دولة إسلامية هو إطالة للمرض وقتل المريض، إعدلوا ولا تقولوا أنه من الإسلام بل من الإنسان..

استبقوا الخيرات، سوف نحاسب على العقائد في القبور، لكن فلنتسابق على إنقاذ الإنسان، لأنّ النظريات الوضعية لم تعمل إلا على تدمير هذا الإنسان، وهل الدين سينقذ الإنسان كما عمل الإمام موسى الصدر على إنقاذه؟ وشكراً.

## الدكتور أنور أبي خزام

إن قضية الحضارة تحتاج إلى نظام يسلك المجتمع كله في خيارات أساسية منطلقة من المعتقدات والإيمان التي تحدّث عنها السيد موسى الصدر، وهو ينطلق من القوة الدافعة التي استعملها الغربيون حينما بدأوا يفسرون الحضارة؛ لأنّ الحضارة هي كلمة دخيلة على اللغة العربية، وليس هناك في قاموسنا العربي من كلمة «حضارة» حسبما نفهمها الآن، لكن يمكننا أن نصنع لأنفسنا مصطلحاتنا، وبهذا الأمر يجب طرح هذه المصطلحات ضمن إطار مفهومنا للأمور، وفي اعتقادي الشخصي أنّ كلمة الثقافة والحضارة كما نقرأها في كتب الغرب، ونترجمها أوجدت لدينا عقدة القصور عن الوصول إليها؛ لأنها تتمثّل لنا بنموذج كامل، له حضوره وقوّته ودخوله في حياتنا اليومية. ما تفضّلت به مهم جداً لكنّ هذه النقطة لا تعالج جزئياً، فلا نستطيع أن نعالج الاقتصاد الحالي ضمن معطيات الإمام موسى الصدر إذا لم يكن الإسلام بحدّ ذاته هو الذي يحدّد، وأعتقد أنّ قضية الدولة تجاوزها الزمن، ويجب أن ننشئ مفهوماً جديداً آخر لمفهوم الدولة، لكن أنا أتكلم على الصعيد الثقافي والصعيد الاجتماعي، فالإسلام الآن لم يعد يستطيع إنشاء المجتمعات وحده، المجتمعات القديمة التي كانت

تتكوّن ضمن إطار معطيات ثقافية دخلت فعلاً وحتماً في مفهوم العالمية بحد ذاتها التي هي فرضت وجودها على كل الناس، وبالتالي تحتاج دائماً إلى وضع المبادئ الأساسية في عمقها، في كيفية انشاء هذه الحضارة؛ لذلك عندما قال مالك بن نبي بأن الإسلام كمنطلق لإيجاد حضارة في المنطقة العربية، ولذلك رأى بأنه يمكن ان تنشأ الحضارة وتأتي من مكان آخر، لا تزال لصيقة بالأرض وبالقيم الروحية التي تشكّل الدافع، ولذلك كان يزاوج بين القيم الروحية الإسلامية والهنود مثلاً هم رفضوا الحضارة الغربية، كان يرى بأن هذه امكانية يمكن أن يجاورها الاسلام. يمكن أن نجد أساساً روحياً للحضارة الإسلامية، عندما نتحدث عن عالمنا العربي، لا أستطيع أن أقيم اقتصاداً يختلف عما هو الآن إذا لم يكن هناك قواعد تنظيمية جديدة تضع الأسس الموجودة، وقد بدأ العالم الآن ينظر إلى ما يسمّى بالاقتصاد الصغير؛ لأنّ الاقتصاد الكبير بدأ يهزم الحضارة والعملة، وسيهزمنا كلّنا فيما يتعلّق بأميركا التي أصبحت تشجع ما يسمى بالدورة الصغيرة، وإلا فالأمر الآخر يحتاج إلى زمن وشكراً.

## الدكتور بشار هاني حيدر

كان الفنان في العالم العربي وفي لبنان، كان ولا زال يلتقي مع كبار رجال الدين، ومنهم سماحة الإمام المغيَّب الإمام موسى الصدر، خلال العشر سنوات وضعت صورا له مع نشاطي وزملائي في وزارة السياحة اللبنانية في مراكز خارج لبنان وصولاً إلى فرانكفورت وألمانيا الغربية. المناسبة باختصار

تجعلني أؤكد على طلبي أن سماحته مع غيره من رجال الدين هم بحاجة لنقيم لهم متحفاً في لبنان وخارج لبنان نحفظ فيه شبه مسيرته، ونحن نعلم في لبنان كما أشرتم في خطبكم أنّ الاهتمام بالمتاحف محتكر من قبل فئة معينة في لبنان تعظّم العمل الفني، قد نلتقي معها ولكنها بعيدة عن أنها تهتمّ بعلمائنا الأحياء والأموات. سوف اختصر هنا بأنّ سماحة الإمام موسى الصدر يلتقي مع الإمام الأوزاعي، ومع الكثير من الأئمة الذين نرى لهم في البلد مكاناً معيناً، آن الأوان لنا أن ندعم فكرة المتاحف والمراكز التي بدأوا فيها آل الصدر الكرام، وهنا أركّز أني مستعدّ لتقديم نشاطي كرسّام أول للسجاد وتنفيذه، ولمادّة الفسيفساء وتنفيذها وأنا بذلك أكبر وغيري من الفنانين يكبرون. وشكراً.

الإمام موسى الصدر عندما عمل ليلاً نهاراً مجاهداً في سبيل توحيد الكلمة كان له حديث في الصلوات الخمس وهو موجود في موسوعة الإمام موسى الصدر المؤلفة من إحدى عشر مجلداً، يقول: سأحمي الفلسطينيين بعمامتي، وعمل جاهداً في موقف الوحدة في التوثيق، بينه وبين المرحوم المفتي حسن خالد، وان جاء ضغط من هنا وهناك إلا أنّ المشروع فشل، رغم أنه كان يحتوي على توحيد الأذان وغيره. يجب أن ننظر في كيفية إنصاف السيد موسى كما نحاول أن ننصف الإمام علي من قبله، وكم نحبّ هذا البيت عندما يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

**يـا آل بيـت رسول الله حبـــكـم**

**فـرضٌ مـن الله في القـرآن انـزله**

**كفاكم من عظيم القدر انكم**

**من لم يصل عليكم لا صلاة له**

ختاماً: لا ننسى رسالة العمران للإمام وللإمام أبي يوسف و ما أخذه عمر بن عبد العزيز عن الإمام علي في ردّ المظالم.
وشكراً

الأسس الفكرية
والنهوض الإسلامي
الصدر